وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ سورة آل عمران

إهداء

إلى وطني فلسطين وإلى حركتنا الربانية حماس وإلى مجاهدي القسام فردا فردا

إلى كل دمعة سالت ألما ووجعا

إلى كل قطرة دم خضب بها الشهيد الأرض

إلى كل مجاهد وأسير وجريح ويتيم وثكلى وشهيد في فلسطين

إلى كل حجر وورقة شجر في فلسطين

إلى الأقصى مسرى الحبيب الذي دونه الأرواح والأهلون

إلى جيش فلسطين صانع النصر والعز في السابع من أكتوبر المجيد

إلى كل من ذرفت عيناه لما يرى في بلادي من العرب والمسلمين وسائر العالم

إلى من يساندنا ويقف مع قضيتنا وينصرها في كل الميادين

إلى الأحرار في كل مكان

أهدي هذه الكلمات .....

حبيبي يا رسول الله ...

يا رسول الله اسمعني ...

لدي شكوى ... لدي ألم ... لدي أسئلة واستفسارات ....

رسول الله يا خير مرشد ومعلم علمني وأجبني ...

أنا بأمس الحاجة لكلمات منك تصبرني وتثبتني ....

أنا حائرة في الذي يجري ويدور من حولي فأرشدني ....

حبيبي يا رسول الله أنت النور الذي به نهتدي ....

لن أجد جوابا شافيا إلا بكلمات من فيك الشريف ....

فأنت الذي لا تنطق عن الهوى وإنما هو وحي من الله يوحى ....

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ النجم.

نحن نحتاجك يا رسول الله ....

أمتنا بحاجة لذلك النور الذي يبعث الإيمان في الصدور ...

أمتنا بحاجة لقائد يأخذ بها إلى كل عز ونصر ...

أمتنا بحاجة لمن ينتشلها من مستنقعات الجهل والتبعية وليس لنا بعد الله إلا أنت ...

أمتنا قطّعتها قوى الشر بسكين المكر فأصبحنا رغم القرب بعيدين !!!!

فصلوا بيننا بأسلاك ولكنهم زرعوا في قلوبنا أنها جدران لا يمكن اختراقها كما جدار ذي القرنين !!

شيدوا ذلك الجدار اللئيم ليفرقوا بين الأخ وأخيه !!!

يا رسول الله سرقوا مسراك ومنعونا من الصلاة فيه !!

يا رسول الله داسوا كتاب الله ونحن ننظر ولا نعلم ما نفعل !!

قالوا لنا مصالح مع هذه الدول فلا تقاطعوا ولا تنبسوا ببنت شفة !!

قتلوا إخواننا وارتكبوا بحقهم كل البشائع من كل الألوان والصور !!!

وعندما نقول يا إخوة النصرة يا إخوة يكون الرد علينا بكل قسوة ليس باليد حيلة وهؤلاء محض إرهاب وجب القضاء عليه !!!

يا رسول الله من أمتك من يعبد الأصنام !! أصناما بنتها أمريكا ورفيقاتها لم تكن من تمر وحجر بل من سوء الكلام وخادع الفكر !!!

يا رسول الله تعبنا من كل ما يجري فأفتنا فلم نعد نصدق الكثيرين ممن يرتدون ثوب الدين ويقفون بجانب سلطان السلاطين ويطيلون المدح في ما ليس فيه والثناء على ما لن يكون فيه وكأنه نبي أمين !!

ظلموا الدين وضيقوا الواسع وحرَموا الحلال وحلَلوا الحرام وظلموا وقهروا وسجنوا وعذبوا هم بألسنتهم وسلاطينهم بأفعالهم وإنا لنعلم أنك يا حبيبنا عليك الصلاة والسلام وربنا جل في علاه من هؤلاء براء .... والإسلام منهم براء ... براء الذئب من دم يوسف عليه السلام ....

لذلك قررت أن نعود لذلك النبع الصافي الذي لم يخالطه شك ولم تزاحمه ذرة نفاق وفسوق إلى نبعك يا رسول الله فعلمني - بأبي أنت وأمي – علمني حتى لا أنسى ...

علمني حتى أصبر وأثبت ...

علمني حتى لا أبقى إمعة تابعا للكفار وأصحاب الهوى ....

علمني يا رسول الله ...

فقد اشتقت لعبير العزة وشذا الحرية ورحيق الوفاء والفداء اشتقنا لريح الجنة ...

اشتقنا لصفاء القلوب ونقائها ...اشتقنا لأن نرى راية الإسلام خفاقة في كل ميدان ...

اشتقنا لأن تكون كلمة الله أولى بالعبادة من كلمات قوى الطغيان والكفر .....

كل هذا وأنا أسير في بلاد لا أعرفها ولكني لم أشعر بالغربة فيها أبدا وكان الوقت بعيد شروق الشمس بقليل فأردفت قائلة في نفسي أريد أن أجد أحدا ما يجيبني على أسئلتي فقط ليطمئن قلبي فنصف الأسئلة أنا أعرف إجاباتها ولكن ليطمئن قلبي ....

واصلت السير حتى وصلت مكانا ممتلئ بالناس هؤلاء يتحدثون وهذا يبيع وآخر يشتري وامرأة تحمل الماء وأخرى تمسك بيد صغيرها ظننت أنها تريد منه أن يذهب للمدرسة ولكن لا حقيبة ولا زي مدرسي حتى ملابس تلك المرأة ليست كملابسنا لا أكاد أعرف هل هي متوجهه للطريق الذي أنا فيه أم العكس !!!

الشارع الذي أسير عليه لم يكن كشوارعنا أيضا أنه تراب فقط ....

المكان تدب فيه معاني الحياة ، لا تسمع سوى كلمات عربية فصيحة يتحدثون بها فارتحت قليلا أني على الأقل أفهم لغة هؤلاء ... كل شيء في هذه البقعة ليس كالذي لدينا ولكن مع ذلك شعرت بأن كل شيء فيها مألوف ...

قطع علي صمتي غلام مر بجانبي يحمل كيس طحين على ظهره

فقال لي : يبدو أنك لست من هنا ؟!

فأجبت : نعم ، إني كذلك .

فقال ضاحكا : ولا تعرفين أين أنت ؟!

فشعرت بارتباك وقلت له : تستطيع أن تقول هذا ...

فقال : إنك في بلاد رسول الله ﷺ ...

قال ذلك بينما هو ينزل كيس الطحين من على ظهره ...

تعجبت من قوله : أحقا ما تقول ؟!

فقال لي : نعم .

قلت : لدي أسئلة كثيرة أريد أن أسأله عنها !

فقال : أعتقد أن كل سؤال تريدين له جوابا ستجديه عند صحابة رسول الله ﷺ فقد سألوه عن كل شيء وأجابهم على كل أسئلتهم ...

قلت له : حسنا ، وأين سأجدهم ؟!

فقال : أعطني سؤالك وأنا أخبرك باسم الصحابي الذي يجب أن تتوجهي إليه وهو بالطبع الذي روى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ....

قلت له بفرح كبير : جزاك الله خيرا لدي الكثير من الأسئلة وهي متعلقة بمشكلة نعانيها الآن ولا أريد أن أضيع وقتا في البحث عن كل صحابي لوحده ....

قال لي باستغراب : ألا يوجد عنوان لهذه المشكلة ؟! لأستطيع أن أدلك على الشخص المناسب ...

قلت له : مشكلة كبيرة ... اجتمع الكفار على بقعة جغرافية إسلامية صغيرة اسمها فلسطين ... عاثوا فيها الفساد بكل أنواعه ... يقتلون الأطفال والنساء وكبار السن هناك بالجملة وصل حتى الآن أكثر من ٢٠ ألف شهيد .... دمروا البيوت فوق رؤوس ساكنيها ... وبيوتنا من حجر قل من ينجوا من تحتها ... أغلقوا عليهم كل متنفس .... لا أحد يدخل ولا أحد يخرج ...

قاطعني والدمع قد بلل وجهه قائلا : أهل بلدك فقط هم المسلمون ؟!

قلت : كلا ، والله إن أعداد المسلمين تفوق المليار مسلم والدول الإسلامية تحيط بلدي من كل جانب ...

قال بصوت يملؤه الغضب : متأكدة بأن جيرانكم مسلمين ؟!!!!

قلت : والله إنهم كذلك ... ولكن للدول مصالح ... ولا يستطيعون فعل الكثير ....

قال وهو يدفع دموعه لكي لا يظهرها : قلتي دول ثم تقولي لا يستطيعون فعل الكثير ؟!!!

ثم قال : لعل خبركم لم يبلغهم ؟!

قلت : بل سمعوا وشاهدوا بأمهات أعينهم ....ولا تخفى عليهم صغيرة ولا كبيرة ...

فقال: مشكلة عصية فعلا ... أمر لا يمكن تخيله .... ما هذه الحال ؟ !!...

ما هذا الألم ؟!! اذهبي حيث عبد الله ابن مسعود عله ينصحك بشيء ... قال ذلك وهو يمسح ما يسيل من دمع على وجهه ...

فقلت : وأين أجده ؟! فرد قائلا : اذهبي من تلك الطريق واسألي الناس عن بيته سيخبرونك به ....

تنهد تنهيدة قوية ثم قال : كان الله في عونكم ... كل هذا يحصل وعدد المسلمين يفوق المليار !!!!

شكرته جدا وسرت حيث أوصاني ....وجدت أناسا هناك كل مشغول بشيء ...

اقتربت منهم قائلة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أين أجد صحابي اسمه عبد الله ابن مسعود ؟ فردوا جماعة : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ... ثم قال أحدهم مشيرا بإصبعه إلى بيت قريب : هناك يا أختي ... شكرا . قلت

ثم حثيت الخطى نحو البيت المشار إليه .....

وصلت البيت .. طرقت الباب ... وما إن فتح .. حتى بادرت بالسلام وسألت : أهذا بيت عبدالله بن مسعود ؟

فقيل لي : نعم هذا هو .... فقلت : لدي مشكلة أريد أن آخذ رأيه بها ....

فإذا برجل يخرج من البيت ويقول : ما مشكلتك يا أختي ؟

فقلت : قد علمت أنك سألت سؤالا لرسول الله ﷺ وأريد أن أسألك نفس السؤال وأسمع منك جواب الحبيب محمد ﷺ .... فهز رأسه موافقا ...

فقلت : أسألت رسول الله ﷺ عن أي العمل أفضل ؟

فقال : نعم هذا صحيح ...

قلت : وما كان الجواب ؟

قال : **سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ العَمَلِ -[١٥]- أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ عَلَى مِيقَاتِهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي.**

قلت في نفسي أما الأولى (الصلاة) فمنا تارك لها والقليل محافظ على وقتها ، والبعض يرى أنها من أصعب المهام التي تطلب منه ، والبعض يصلي وهو لا يعرف معنى الخشوع ولا يدرك ما يقرأ ...

وأما الثانية (بر الوالدين) فلقد أصبح الصراخ في وجه الأب أو الأم أمر عادي .. والاستهزاء بهما أمر يتفنن به الكثيرين ، ومأوى كبير السن منهما (دار العجزة)!!

وأما الثالثة (الجهاد في سبيل الله) فلله الحمد هناك ثلة تمسكت به وها هي تذود عن الحمى مجاهدة رغم الجراح وعلى رأسهم كتائب القسام التي ما زال مجاهديها يسطرون آيات من البطولة والفداء رغم كل الهجاء والجفاء من إخوانهم المسلمين قبل الكفار ...

وهناك من أمتنا من يحاول أن يلغي هذا المصطلح من عقول المسلمين قبل أن يلغيها من مناهج دراسية باهتة ، فارغة المحتوى ، خاضعة لإملاءات الغرب الكافر وعلى رأسهم أمريكا ... هناك من ينعق بما تنعق به أمريكا ويردد قولها أن الإرهاب والجهاد في سبيل الله وجهان لعملة واحدة وجب محاربتهم والقضاء عليهم لأن من يتبنون هذا الفكر إرهابيون متخلفون ويقفون عائقا أما التحضر والرقي !!!

إذن فالجهاد في سبيل الله من أفضل الأعمال ؟ قلت ذلك محاولة التخلص من حالة الصمت التي خيمت على المكان فأجاب عبد الله بن مسعود بالموافقة ... وظننته شعر بالألم الذي غصت أفكر فيه ...

فقال : لم كل هذا التفكير ...إنه بالفعل من أفضل الأعمال ؟

فقلت مجيبة : لأنه في زمني أصبح الجهاد في سبيل الله ليس إلا إرهاب يتهافت المسلمين قبل الكفار للقضاء عليه فهو معول يقوض أساسات الحضارة وجب إنهاؤه وإنهاء كل من تحدثه نفسه بتبنيه !!

فرد متعجبا وآيات الغضب تكسو وجهه : صدقا ما تقولي ؟!

فقلت : نعم صدقا .

فقال : من أين أنت ؟!!

فقلت : من فلسطين من أكناف بيت المقدس ... تهللت أساريره وقال : كيف حال الأقصى مسرى الحبيب ﷺ ؟!

فقلت : واااااااأسفاه لم أعرف الأقصى إلا من الصور فلم تطأه قدمي بعد !!!

قال متعجبا : من أكنافه ولم تطأه قدمك ؟!

قلت : إنه بيد اليهود الغاصبين ... يقتلون ويأسرون ويعيثون في بلادي الفساد ... ويمنعون الصلاة فيه إلا من كان قريبا منه وحسب شروط يتفننون في فرضها ....

رد بصوت أنهكه البكاء : ولم لا تقاتلونهم ؟! أين الجهاد في سبيل الله ؟!! كيف ترضون أن يبقى بيد هؤلاء اليهود الطغاة ؟! ألم تسمعوا بقوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ ﴿١٩١﴾﴾ سورة البقرة

قلت : بلى والله سمعنا ونحن نقاتل بكل ما نملك ونقاتل منذ أن دخلوا أرضنا ولكن الذين يحاربوننا ليسوا فقط يهودا وكفارا !! بل يقاتلنا مسلمين !!!

زاد من حدة صوته وقال : يقاتلونكم مسلمين ؟!!

قلت : ليس بالسلاح ولكن بالصمت والمتابعة من بعيد وإغلاق الحدود في وجه مساعدات إنسانية لا تتعدى الطعام والشراب ، بفتاوى من أشخاص لبسوا ثوب الدين زورا يحرمون الجهاد ويشوهون المجاهدين ... بسجن العلماء المصلحين ، وأمر العون بالسلاح والجنود المكدسين أمر لم يخطر لرئيس دولة مسلمة على بال !!!!

قال : هل طلبتم النصرة ولم ينصروكم ؟! دعوتم للنفير فلم ينفروا ؟!

قلت : والله هذا أكثر ما فعلنا ولم نر منهم الكثير ... حتى أن أناسا ليسوا بمسلمين هبوا واعتصموا في كل الساحات والميادين ... ورفعوا الصوت عاليا بالتوقف عن سفك الدماء مطالبين ... وإخواننا المسلمين فعلوا ذلك ولكن سرعان ما جلسوا متفرجين اعتادوا على مشاهد القتل والدمار يائسين ... من حكام سلطوا على رقابهم أحد سكين .. وأصبحت نصرتنا ذنبا لا يغفر لصاحبه وعقاب مرتكبه سجن لسنين !!!

أجهش بالبكاء وقال : اذهبي إلى أخي ابي موسى -رضي الله عنه- واستزيدي منه وشاوريه فوالله إني لأعجب مما تقولين أعجب من أن يصل المسلمين إلى هذا الحد من الذل والهوان !!! لا أعلم كيف سيكون حال رسول الله ﷺ إذا بلغه ما بلغني من حال المسلمين؟؟!!

أشار نحو طفل صغير وقال له : رافقها حتى بيت ابي موسى -رضي الله عنه - ... ودخل بيته وهو يبكي بكاء حارقا ....

سرت أنا والطفل الصغير مسافة ليست بالقصيرة وفي الطريق مررت بامرأة كبيرة في السن فنادتني بصوتها المنهك : يا ابنتي .. يا ابنتي ...

التفت إليها ، فأشارت لي ... فتقدمت نحوها ببطء شديد ... أشارت لي بأن أسرع ... فكان لها ذلك .. فقالت : لقد التمست الجوع والتعب عليك يا ابنتي ... وأخرجت من قطعة قماش كانت تحملها بضع حبات من التمر وقالت : إليك يا ابنتي ... شعرت بحرج شديد فقد كنت متعبة جدا وجائعة ولكن لم يتبقَ معها شيء !!!

رفضت هذه التمرات بقولي : شكرا لك ولكني لست جائعة ... نظرت إلي العجوز نظرة تكذيب لقولي : فقالت إليك يا ابنتي لدي الكثير في البيت ... أخذتها لإصرارها الشديد على ذلك وتذكيري بأنها هدية ورسول الله ﷺ لا يرفض الهدية ...

لم أدر ما أقول لها ، جزاك الله خيرا يا أمي ... فلمحت ابتسامة جميلة على محياها بددت معالم الشيخوخة التي رسمتها السنين على وجهها ... وتمتمت بالحفظ والتوفيق ..

وقالت : أظنك لست من هنا فنظرت إلي فأومأت برأسي موافقة على كلامها ...

فقالت : إذا كانت لك حاجة ما فها هو بيتي ... شكرتها جدا ...

أحببت أن أبقى معها ولكني تذكرت ما الذي جئت من أجله ...

فودعتها وأكملت المسير مع ذلك الطفل الصغير الذي كان ينظر إلي باستمرار يريد أن يعرف لم أبكيت عبد الله بن مسعود ؟!! ...

تشاركنا أكل التمر طوال الطريق توقف الصغير فجأة ..

وقال : هنا ... هنا بيت ابي موسى - رضي الله عنه - .

ربتّ على كتفه وقلت له : شكرا ....

تقدمت نحو ذلك البيت طرقت الباب ففتح ....

فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

أسأل عن ابي موسى رضي الله عنه أهذا بيته ؟

فقيل لي : هذا بيته ولكنه ليس هنا إنه في مسجد قريب ....

توجهت نحو ذلك المسجد ووقفت أمام بوابته منتظرة أحدا ما يخرج أسأل عن ابي موسى - رضي الله عنه - ....

حتى مر رجل ... فقلت له : السلام عليك يا أخي ... أريد أن أتحدث إلى أبي موسى - رضي الله عنه - وقيل لي إنه في المسجد هلا أخبرته بذلك ؟

فقال : وعليك السلام ... سأخبره ... ودخل المسجد .....

سرعان ما خرج رجلٌ يلتفت يمنة ويسرة يبحث عن شيء ما فلما رآني قدم إلي وقال : أنت الأمة التي تريدين أن تسألي ابي موسى ؟! فقلت : نعم ....

فقال : وها هو أبي موسى .. ما سؤالك ؟!

فقلت : أريد أن أعرف من المجاهد في سبيل الله ؟!

تفاجئ من سؤالي ثم قال : قبل أن أجيبك .. ما الذي يدفعك للسؤال عن المجاهد في سبيل الله ؟!

قلت : إني في زمن الكفار فيه هم المتحكمين في كل صغيرة وكبيرة في حياة المسلمين والكفار يسيطرون على أراضي المسلمين ويحكمون قبضتهم على المسجد الأقصى ويمنعوا المسلمين من الصلاة فيه ...

وهم منذ أكثر من ٧٥ سنة يحتلون بلادي فلسطين واليوم يرتكبون بحق أهلي وأحبتي في غزة تحديدا جرائم لا تطاق ... الأطفال والنساء لم يتبق منهم إلا أشلاء ويأسرون الرجال والنساء وينكلون فيهم أيما تنكيل ....

وذلك ردا كما يقولون على عمل صدمهم به ثلة مجاهدين يوم السابع من الشهر الماضي حيث اقتحموا معسكراتهم ومستوطناتهم وقتلوا كثيرا من اليهود وأسروا من أسروا ....

وسبب سؤالي هو أن الكثيرين يشككون بأن الذي فعله مقاتلي القسام ليس جهادا في سبيل الله!!!

بل هي محاولة لجلب المآسي والآلام للشعب المكلوم أصلا منذ عام ١٩٤٨ !!!

فكست علامات الاستغراب وجهه ثم قال : **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».**

فقلت : إن هؤلاء لا يحملون هما سوى إعادة الطهر لباحات الأقصى ...

وتحرير الأسرى الذين يكتوون بشتى نيران العذاب كل يوم وقد مضى على بعضهم ٤٠ سنة وهو مأسور ....

ولا يحملون هما سوى أن يستعيدوا أرضهم التي طردوا منها ، وينشروا الإسلام في كل بقاع العالم ....

ولم يهبوا إلا نصرة لمسلمات انتهكت أعراضهن وضرين وسحلن على أيدي اليهود الغاصبين ....

نصرة لقرآننا العظيم الذي يداس بأقدام الطغاة الكافرين .....

إنهم يحملون آيات القرآن في قلوبهم .... و يجتهدون في أن تخطو أقدامهم على طريق رسول الله ﷺ .....

لم نعهد عليهم كذبا ولا جبنا ولا خيانة ولا زورا ....

لم يعدونا زيفا ولا غرورا بل وعدونا بما وعده الله جل في علاه رسوله والمؤمنين...

نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحدا ...

فقال مطمئنا لي : **«مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».**

فقلت : والله إننا لنتألم ونبكي قهرا كل يوم ....

عندما نرى الأطفال أشلاء ....

عندما نرى الأمهات الثكلى ...

عندما نرى شيوخا مبتوري الأقدام والأيدي ....

عندما نرى الرجال يبكون ...

الرضع يصرخون ....

البيوت تدمر ...

الناس يموتون جوعا وعطشا ...

الرجال والنساء يؤسرون عند يهود لا يعرفون الرحمة...

عند يهود ينعتوننا بالحيوانات البشرية !!!

عند يهود لا تتوفر لديهم شروط الإنسانية !!!

فعجبنا مما نرى من فساد وحقد لم نتوقع أن يكون قلب إنسان قادر على تحمله مما زاد من شكنا في حقيقة إنسانيتهم !!!!!

لا يقاتلوننا بسيوف .. بل يقاتلوننا بكتل من الحقد المغلف بالحديد يلقوه علينا من السماء فتردم البيوت الحجرية على رؤوس أصحابها ... فيرتقي العشرات بل المئات بضربة واحدة !!!!

لا يهم إن كانوا أطفالا أم نساء !!! لا يهم إن كانوا شيوخا كبارا!!

لا يهمهم أي شيء !!! سوى القتل والإبادة !!! سفك الدماء والمجازر !!!

صمت طويلا شعرت بتأثره الكبير ثم بكى ... فأبكى ببكائه من حوله ...

كل الناس كانوا قد تحلقوا حولي وتسمرت أعينهم وأنا أحدثهم عن حالنا ... فما لبثوا حتى بكوا لبكاء أبي موسى ...

علا صوت أذان الظهر ... يصدح عاليا ...فسمعه جميع الناس دون حاجة لمكبرات الصوت كما هو متعارف عندنا !!

فقال : ها قد رفع الأذان وحان وقت اللقاء ... ووقت رفع الشكوى إلى الله ... نكمل بعد الصلاة ...

دخلت خلف مجموعة من النساء لكي أصلي جماعة في المسجد معهن وما أن شرع الإمام بالصلاة ونحن خلفه كأني ولجت إلى عالم آخر ... عالم من الطمأنينة والرضا ...

انتهت الصلاة ولم أدر كيف انتهت ... خرجت من المسجد بين النساء ثم تذكرت أبي موسى -رضي الله عنه -...

فذهبت حيث هو فقال : أعلم أن الألم كبير اذهبي إلى أبي هريرة عله يقول لك قولا ما يربط على قلبك ....

ورسم لي الطريق إلى أبي هريرة .....

جزاك الله خيرا قلت له ، ثم سرت على طريقه الذي رسمه لي ...

لا زلت أتجول بنظري في الدنيا من حولي إنه زمن تفوح منه عزة المؤمنين ...

إني في زمن كان نقلة خاطفة للعالم من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام ....

زمن كان المسلمين فيه يدا واحدة فنالوا من العزة ما نالوا ....

زمن كان المسلمين فيه يمتثلون لكل أمر من أوامر الله عز وجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وينتهون عن الذي نهوا عنه ...

وبينما أنا أغوص في تفكيري في هذا الزمن ...

أغمضت عيني فإذا بصور غزة تأتي في مخيلتي من جديد..

تلك الصور المؤلمة عادت ثانية ....

وإني أرجح أنها لم تذهب أبدا من عقلي ...

أحسست بألم كبير و مشاهد الفقد والوداع والبكاء والصراخ والوجع تأتي تباعا وكأنها تحاول استفزاز دموعي التي بالكاد استطعت إيقاف تدفقها ....

جعلني ألمي ووجعي أحث الخطى في طريقي نحو بيت أبي هريرة باحثة عن كلمات أواسي بها نفسي ....

كنت أسير في الطريق وأعين الناس ترقبني كأنها شعرت أني لست من هنا ...

كأنهم يلمحون ألمي وجرحي النازف في قلبي ويتساءلون عن السبب ...

كأنهم قاموا بالكشف عن دموعي فإذا بالنتيجة دموع سببه خذلان أخوة وفقد أحبة وأعزاء .....

كانوا ينظرون إلي وألسنتهم تتمتم برفع البلاء عن هذه الإنسانة المسكينة ....

ولم يعلموا أني جئت إليهم نائبة أو سفيرة من بلاد تعج بهذه المظاهر الحزينة من الناس!!!

من بلاد تئن تحت وطأة الكفار والخونة من المسلمين ....

توقفت عن المشي لعل عقلي يتوقف عن التفكير قليلا فأدرك أين وصلت .....

سألت امرأة مرت بجانبي ترمقني بنظرات شفقة ورحمة فقلت لها : أين بيت أبي هريرة – رضي الله عنه - ؟

فأشارت لي بأني قد تجاوزته ... فشعرت بالحرج وأخذت التفت يمينا ويسارا...

فقالت : لا بأس تعالي معي أدلك على الطريق فعدت معها....

أثناء سيري وإياها شعرت برغبتها الجامحة في معرفة سبب حالتي هذه ... تريد أن تعرف عني أكثر ....

وما أن أخبرتها حتى بدأ نحيبها يعلو ويعلو وقالت : اللهم أفرغ عليهم صبرا وثبت أقدامهم.....

كان الله في عونكم رغم ما سمعنا من قصص في الحروب والغزوات لم أسمع بمثل هذه المجازر البشعة .... أعانكم الله ....

وصلت مبتغاي حسب قول المرأة التي غادرت وهي تدعو وتبكي ....

طرقت الباب ففتح .... قلت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... أبحث عن أبي هريرة لدي سؤال ؟

قيل: ادخلي ... بيت بسيط من طين لا مظاهر ترف ولا حتى أي مظهر يدل على وجود طعام !!

جاء أبا هريرة ... فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... ما حاجتك يا أمة الله ؟

سردت له حكايتي من أولها لآخرها وذكرت له أني جئت لأن أبي موسى – رضي الله عنه – أوصاني بذلك ...

فقال : قد علمت ما الذي أراده أخي أبا موسى – رضي الله عنه - ....

ثم قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالًا مِنَ المُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ».**

وقبل أن أنطق بكلمة ...

قال : - قَالَ ﷺ : **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ».**

وما ان انتهى من قول الحديث حتى استعاذ من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴿١٦٩﴾فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿١٧٠﴾يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴿١٧١﴾الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴿١٧٢﴾الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴿١٧٣﴾فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴿١٧٤﴾﴾ سورة آل عمران

ولم يكن مني سوى أن أبكي فرحا في تلك اللحظة وكأني أول مرة أسمع بهذه الأحاديث وهذه الآيات !!!!

كل هذه للشهداء .... هل فقط رسولنا الحبيب ﷺ من يتمنى ذلك ؟!!!

فقال : لا بل كل الشهداء ... وحديث للحبيب ﷺ رواه أخي أنس بن مالك يؤكد هذا ..

فقلت : يعني الذين نبكي عليهم كل يوم وتتمزق قلوبنا ألما وحرقة عليهم يتمنون أن يعودوا إلى الدنيا فيحيوا ثم يقتلوا ثم يحيوا ثم يقتلوا ؟!!!!

وا عجباااااااه ... ألهذا الحد فرحهم بما لقوا عند الله عزوجل فيدفعهم ذلك لتمني الحياة فقط لكي يقتلوا من جديد !!! ما الخير الذي وجدوه عند الله فجعلهم يتمنون هذه الأمنية العجيبة !!

نعم نحن مكلومون يا رسول الله ..... أحبتنا يكلمون كل يوم ... كيف سيكون حالهم يوم القيامة ؟!!

اللون لون الدم والريح ريح المسك !!!

يا الله ما هذه العظمة !!!!

ما أجمل أن تأتي يوم القيامة وريح المسك تفوح من جرحك النازف ...

يشهد أنك مجاهد في سبيل الله ...

بشراكم يا أهل غزة ويا أهل فلسطين اللون لون الدم والريح ريح المسك ...

كل ألم نكابده الآن سيرفعنا في الآخرة لأعلى الدرجات ...

من غير الذي يكلم في سبيل الله سيلقى مثل هذا العز في الدنيا والآخرة ؟!!

وبدأت أتجول في معاني هذه الآيات وقلبي يكاد يطير فرحا بها وكأني للتو سمعتها وكان ما قاله كافٍ لأتعزى به طوال طريقي إلى بيت أنس بن مالك – رضي الله عنه- كما نصحني أبا هريرة رضي الله عنه ....

بالفعل يا رب نحن كنا نظن أنهم ماتوا كما غيرهم فالموت هو نفسه والنتيجة نفسها ففي النهاية لن نستطع أن نكلمهم ولا هم يكلمونا !!! ولكن الآن يقول لنا ربنا جل في علاه خالق الموت والحياة أنهم لم يموتوا إنما هم أحياء .... أنصدق تصورنا الإنساني السخيف (الذي يساوي بين موت الشهيد وموت غيره) أم نصدق قول ربنا القاطع : ﴿..بَلْ أَحْيَاءٌ

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴿١٦٩﴾ ؟!!!... بلى والله إنهم أحياء كما تقول يا ربنا وليس فقط أحياء بل يرزقون ....ونحن بذلك مؤمنون.... بل وإنا بالفعل نشعر بأنهم بيننا لم يغادرونا ... خالدين في ذاكرتنا ومتجذرين في قلوبنا ... نشعر بهم أحياء دون غيرهم ممن رحل ... فسبحان الله العظيم !!! ألا نشعر بأنهم يرونا ويسمعونا ؟! بلى، والله إنا نشعر بذلك ..

وكما في أيسر التفاسير للجزائري في تفسيره لهذه الدرر من الآيات :" أي لا تظنن الذين استشهدوا من المؤمنين في أحد وغيرها أمواتا لا يحسون ولا يتنعمون بطيب الرزق ولذيذ العيش بل هم أحياء عند ربهم يرزقون ، أرواحهم في حواصل طير خضر يأكلون من ثمار الجنة ويأوون إلى قناديل معلقة بالعرش ، إنهم فرحون بما أكرمهم الله تعالى به ، ويستبشرون بإخوانهم المؤمنين الذين خلفوهم في الدنيا على الإيمان والجهاد بأنهم إذا لحقوا بهم لم يخافوا ولم يحزنوا لأجل ما يصيرون إليه من نعيم الجنة وكرامة الله تعالى لهم فيها ، إن الشهداء جميعا مستبشرون فرحون بما ينعم الله عليهم ويزيدهم وبأنه تعالى لا يضيع أجر المؤمنين شهداء وغير شهداء بل يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله"

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴿١٧٤﴾﴾

نعم حسبنا الله ونعم الوكيل ... نرددها فيكون الفضل والأجر كبير ... فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله .... علينا أن نتزود من هذه الكلمات حقا ..فأجرها عظيم وكبير ... لا يمسسنا سوء وفوز برضوان الله تعالى ...ويا لعظمته من فوز !!!

فغصت في المعاني الجميلة التي لم تزدني إلا انشراحا في الصدر وثباتا وصبرا...

لم أستيقظ من عمق تفكيري إلا على صوت أطفال مروا بي يلعبون ....

وما أن رأيتهم حتى تذكرت أشلاء أطفال غزة !!!

وما أن تذكرت أشلاء أطفال غزة وبكاءهم المفجع حتى بدأت دمعاتي تنهمر كالمطر!!!

ويحي ألم أعلم أجر الشهداء ؟!!

ألم أعلم للتو أنهم أحياء ليس كما نظن وبغض النظر عن الطريقة التي رحلوا فيها عنا سواء كانوا بكامل أجسامهم أم مبتوري الأعضاء !!! سواء حرقوا أو مزقوا إنهم أحياء !!! سواء بكينا أم لم نبكِ إنهم أحياء !!!

آه أيها القلب لم البكاء أم أنك لم تصدق ما قلت قبل قليل ؟!!

لا والله نصدق ولكنه القلب ... وما زلت أعاتب نفسي حتى رأيت المنزل الذي أوصاني به أبا هريرة - رضي الله عنه -...

عجلت و سارعت إلى ذلك المنزل فلمحت رجلا كبيرا في السن يجلس هناك ...

قلت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... فردَّ علي بالسلام ... فقلت : أبحث عن أنس بن مالك – رضي الله عنه - ...

فقال : إنه هناك يتحدث مع بعض إخوته .... ذهبت إلى حيث قال لي ذاك العجوز ...

فرددت السلام وقلت : من فيكم أنس بن مالك – رضي الله عنه - ؟... فالتفت أحدهم وقال : أنا أنس بن مالك ... ما حاجتك ؟

فقلت أوصاني أبا هريرة أن أذهب إليك ... وقصصت عليه القصة ...

وقلت : إن فقد الأحبة صعب ومؤلم ...ممزق لقلوبنا ومحرق ... ملهب لصدورنا ..ومدفق لدموعنا ... ولكل أسباب الحزن والأسى جالبا ...نحن نبكي كثيرا على ما نرى من مذابح ومن فقد أحباء وأعزاء ...

فقال : **خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ عَنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ»، وَقَالَ: «مَا يَسُرُّنَا أَنَّهُمْ عِنْدَنَا» -[١٨]- قَالَ أَيُّوبُ أَوْ قَالَ: «مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ»**

إذن فحزني ليس فيه شيء والبكاء ليس قلة إيمان ... فها هو الحبيب ﷺ يذرف الدمع على صحبه رغم إيمانه العظيم بالله وبأجر الشهداء !!!

فقال : بلى ، ولكن أن تبكي العين والقلب مؤمن بالقضاء والقدر واللسان يلهج بالاسترجاع شيء ، والنواح والصراخ وقلب ساخط ولسان لائم شيء آخر!!!

فقلت : لا والله بل هي الأولى .. بل هي الأولى ...

ثم قال : **عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» .**

يا إلهي غدوة أو روحة في سبيل الله هي خير من الدنيا وما فيها ... وإن الذي في الدنيا كثير!!! أصبحت أفكر كم في الدنيا من خير يحلم به المرء منا !!!! الغدوة أو الروحة خير مما في الدنيا بأسرها !!!!

أي أجر للمجاهدين وهم ليلا نهارا يجاهدون في سبيل الله ... يتربصون بالكفار ويحمون ديار المسلمين ؟!!

أي أجر لتلك العيون الساهرة المترقبة وتلك الأيدي الضاغطة على الزناد لا تهنئ ولا تستكين حتى ولو أمن المسلمين ؟!

أجر عظيم وخير وفير لا يعلمه إلا الله ولا يسعنا سوى التأمل بهذه الكلمات : خير من الدنيا وما فيها !!!! تخيل كل شيء جميل في هذه الدنيا تتمناه وقل : خير من الدنيا وما فيها !!!

ثم قلت : إنهم يحرّمون تحريض الناس على القتال ويقولون إننا بذلك نشق على الناس ونرمي بهم إلى التهلكة !!!

فقال : لقد قيل مثل هذا كثيرا ...

ثم تلا : ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ سورة النساء

فقال : الله جل في علاه يأمر بتحريض المؤمنين ويأمر من ؟ خير خلقه محمد ﷺ .. والنتيجة ماذا ؟ أن يكف الله بأس الذين كفروا ... فالله عزوجل هو الآمر والنبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من المؤمنين هم المأمورين ووجب على كل من ينتمي لهذه الأمة أن يمتثل لأوامر الله ونواهيه في كل زمان ومكان ... والنتيجة هي كف بأس وعدوان الكافرين وحفظ أمن المسلمين...

قلت : حسنا ولكن الناس عندما يقال للناس قاطعوا التجارة مع اليهود وداعميهم يقولون سنخسر كثيرا فنحن نعتمد على منتجاتهم ومعداتهم وكل ما يخص ازدهار الاقتصاد معتمد على هذه الدول بشكل شبه كلي وستكون العواقب وخيمة إن قاطعناها!!!!

فقال : " بعدما فتح المسلمون مكة كان كثير من عرب الجزيرة لا يزالون على الشرك ، وكانوا يأتون للبيت الحرام الذي يعظمونه هم أيضا ، فيتبادل معهم المسلمون البضائع بيعا وشراء ، هنا أمر من الله تعالى بقطع هذا المصدر الذي قد يكون الوحيد أو الأهم للاقتصاد المكي ! قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ﴾ سورة التوبة

﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ ... إذا لم يعد للمشركين مصلحة في القدوم إلى مكة ...ستنقطع التجارة ...سينهار اقتصاد مكة . هكذا تقول الحسابات الدنيوية .

لكن الله برحمته طمأنهم فقال : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ - أي : فقرا - ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾

... ماذا قال الله بعدها : ﴿ إِنْ شَاءَ ﴾ إن شاء أن يغنيكم أغناكم ... أما أنتم فعليكم التزام الأمر بغض النظر عن الضمان الذي ضمنه الله لكم . ليس لكم أن تشترطوا أن يبين الله لكم كيف سيعوضكم وكيف سيرزقكم حتى تستجيبوا لأمره ، بل أنتم تستجيبون ثم الله يغنيكم إن شاء.

كيف سيغنيهم ؟ لم يخبرهم .

استجاب الصحابة ، وفعلوا ما يتسبب في انهيار الاقتصاد في الظاهر المادي ، فأحل الله الجزية في الآية الأخرى التي تتبعها مباشرة في السورة ، وفتح الله أنحاء الجزيرة العربية للمسلمين .....وكان خيرا للمسلمين الذين عوضهم الله عما فقدوه من التجارة .

أختي ، لو أننا نستجيب لأمر الله ثقة بحكمته ورحمته فلن يضيعنا . مع تذكر أن المسلم مأمور بالأخذ بالأسباب والاستجابة للإسلام كلا لا بعضا .... هذه النصوص القرآنية ليس لها مدة انتهاء تنتهي فيها صلاحيتها حاشى كلام الله ! " (بهم فاقتدوا / إياد القنيبي)

لذا على المسلمين أن يدركوا واجب النصرة وممارسته بكل أشكاله حتى ولو كان في ظاهره مخاطرة أو مجازفة محتسبين لله كل عمل يقومون به ولن يضيعهم الله أبدا ... ثقوا بالله ولا تدعموا القتلة بالتجارة والعلاقة معهم ...سيعوضكم الله خيرا وأن تكتبوا ناصرين لمن نصر الله ونصر دينه خير من أن تكتبوا من القاعدين المتخاذلين والعياذ بالله..

ثم قال : أوصيك بالذهاب حيث أخي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ... جزاك الله خيرا قلت .

ثم سرت إلى وجهتي ... إلى عبد الله ابن عمر - رضي الله عنهما -.....

مضيت في طريقي حتى استوقفني مشهد مجموعة من النساء يتجهن إلى مكان ما ... واستجابة لفضولي ذهبت خلفهن وما أن وصلت حتى رأيتهن يجلبن الماء من بئر قريب....

ويتحدثن في كثير من الأمور ... وقفت أنظر إليهن ومظاهر التعب والمشقة بادية عليهن ... ولكن مع ذلك تشعر بأن نفوسهن مرتاحة منشرحة !!!

ما لفت انتباهي أكثر أني رأيت فتاتين تقفان في مكان بعيد نسبيا واحدة تتمتم والأخرى مصغية لها بكل جوارحها خشوع عجيب ... واستجابة لفضولي أيضا... اقتربت منهن محاولة فهم سبب هذا الإصغاء العميق لما تتحدث به الأخرى ....

وما أن اقتربت حتى فهمت أنها حفظت بعض الآيات وتتلوها على مسمع صديقتها وكانت تلك الآيات : ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ سورة الحشر.

فقلت بصوت عال وباندفاع كبير : صدق الله العظيم ...صدق الله العظيم ... صدق الله العظيم ...

فتوقفت القارئة عن قراءتها ظنا منها بأني أريد أن تتوقف عن القراءة والتفتن إلي باقي النسوة ينظرن إلي وعلامات التعجب بادية في نظراتهن ....

وما كان مني إلا أن لذت بالصمت قليلا ... ومع تزايد نظرات التعجب والاستغراب ...

لم أجد بُدَّاً من تفسير ما جرى ...

فقلت : المعذرة يا أخواتي أنا من بلاد بعيدة ومن زمن أبعد ولا أعلم كيف وصلت إلى هنا .... فزاد تعجبهن وهمسهن ...

فقلت : وقد قلت صدق الله العظيم ... لأني كنت أستمع إلى إحدى الأخوات تقرأ قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ سورة الحشر

وإني قد رأيت هذه الآيات تحدث أمامي رأي العين ....

عاد الهمس من جديد ...

فقلت : إني من بلاد مسلمة وقد احتلها اليهود منذ زمن بعيد ...

وإنا لنقاتلهم منذ اللحظة التي دخلوا بها بلادنا ولكنهم أخذوا من بلادنا ما أخذوا ...

ومن هذه البلاد بلاد اسمها " غزة " وقد بقي أهلها رغم ظلم وجبروت الاحتلال يقاتلونهم قتالا شرسا ...

وكان اليهود قد شيدوا بيوتا لهم فيها ولم يتوقعوا للحظة أن هؤلاء الثلة القليلة من الرجال ستخرجهم من هذه البيوت وظنوا أنهم بتحصيناتهم وأسلحتهم أنهم لن يمسوا بأذى من المسلمين ...

حتى أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا بمجاهدين يثخنون فيهم الجراح ... ودب الله في قلوبهم الرعب ... فما كان منهم إلا أن خرجوا من بلاد المسلمين أذلة صاغرين .. وأخذوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المجاهدين ...

وخرجوا على حدود تلك المنطقة " غزة " وأطبقوا عليها الخناق ومنعوا الخروج والدخول لحوالي ١٦ سنة ...

حتى شاء الله أن يحقق قوله فيهم مرة أخرى ...

شيدوا حول غزة الأسوار حتى ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا بجنود اقتلعوا هذا السور فكأنه الورق بفضل الله ودخلوا عليهم يقتلون ويأسرون ...

فدب الله في قلوب أعدائنا الخوف والرعب فخرجوا من بيوتهم يصرخون ويستنجدون فإذا بجنودهم قد قدموا يرتجفون فأخذوا يخربون بيوتهم بأيديهم ويقتلون بعضهم البعض لشدة الرعب وتمكنه منهم..... فصدق الله العظيم ...

ورأيت علامات فرح ارتسمت على وجوههن وهن يرددن : صدق الله العظيم ... صدق الله العظيم ...

شعرت حينها بفخر كبير وأنا أقص عليهن قدرة الله وصور ذلك النصر تأتي أمام ناظري ... فأمدتني بعزة كنت قد شعرت بها عندما رأيت تلك المشاهد للمرة الأولى ...

وقلت : الحمد لله... اللهم كن لنا ناصرا يا خير الناصرين ...

ثم غادرت بسرعة حينما تذكرت أني يجب أن أذهب إلى عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما - ...

وأثناء مغادرتي صدح المؤذن بأذان العصر ... فرأيت مشهد لم أر أجمل منه قط ...

ترك الناس جميعا كل ما في أيديهم ..تركوا أعمالهم ومشاغلهم ...

شعرت كأنهم يركضون نحو المسجد ركضا!!!

أو كأنهم يطيرون فرحا ولهفة للقاء طال انتظاره !!!

ذهبت خلفهم وإذا بالنساء قد تركن الماء وجئن للصلاة ... فدخلت معهن وهن ينظرن إلي نظرة إكبار واحترام ....

وما أن شرعنا بالصلاة حتى قرأت آيات سورة الحشر التي فسرتها منذ قليل دون تفكير ...

لهج بها لساني تلقائيا ... وكأن الله عزوجل يريد أن يثبت هذه الآيات في قلبي أكثر..

وأي خشوع أجمل من هذا ؟!! خشوع لأني أقرأ آيات أحبها بعد أن رأيتها تتحقق بأم عيني ....

فأصبحت علاقتي بهذه الآيات أكثر قوة وما إن قرأتها بعد ذلك حتى شعرت بشذا العزة يفوح منها مصدقة لها أحداث السابع من أكتوبر المجيد ...وكأني بهم حين أتوهم مصبحين يصيحون بما صاح به الحبيب ﷺ : **" اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ} [الصافات: ١٧٧] "** فالله أكبر خربت إسرائيل وأحفاد خيبر !!!

انتهت صلاتي وخرجت من المسجد باحثة عن وجهتي ...

سمعت رجل ينادي : يا عبد الله ... يا ابن عمر ... فتوقف رجل آخر فتحدثا .. ثم غادر ذلك الرجل ...

فذهبت مسرعة نحو الرجل الذي بقي فقلت : أين أجد عبد الله ابن عمر - رضي الله عنهما- ؟

فقال : ذاك هو ...حدثته قبل قليل .... فناداه ..... فالتفت عبدالله بن عمر ... فأشار الرجل إلي ...فتوقف عبدالله ....وانتظر قدومي ....

وعندما وصلته رددت السلام فرد هو أيضا ... ثم قلت : طلب مني أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن أذهب إليك ... ورويت له الحكاية ...

فقال :أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ الفَتْحِ: **«لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»**

قلت : إن الناس عندما يستنفروا للمساعدة والإغاثة ... يقولون : ليس باليد حيلة ... ولم نضربهم على أيدهم ليجابهوا هؤلاء !!!

ولو أن منهم عاقل لفهم أن مجموعة قليلة لا تملك سوى بضعة أسلحة لا تستطيع أن تهزم دولة مثل إسرائيل !!!

فلم أر شيئا يشير إلى استغرابه فكأنما مرت على سمعه مثل هذه الكلمات من قبل ...

فتلا قوله تعالى : ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ سورة التوبة

فقلت : إنا لنسمع مثل هذه الكلمات كثيرا في زماننا أيضا ....

فيقال : لو لم (يعتدي) القسام على اليهود لما حصل ما يحصل الآن في غزة !!!

وقالوا : ليس وقت الجهاد بل نحن أصبحنا في مجتمعات أكثر رقيا وفهما ولا تحل الإشكالات إلا بالسلام !!!! مع أن البعض جرب السلام لعقود وكان هو وحده الملتزم فيها فاليهود لا يلتزمون أبدا بالعهود والمواثيق بل واصلوا القتل وسرقة الأراضي والأسر وغيرها!!!!

وقالوا : نحن لا طاقة لنا بهؤلاء !!!

معهم أمريكا وكل الدول الغربية وبكل أنواع الأسلحة القادرة على مسح ليس غزة وحدها بل العالم العربي من الوجود !!!

فقاطعني تاليا قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ سورة البقرة

فقلت : ليتهم يكتفون بآرائهم لأنفسهم بل ينشروها كالسم بين الناس ولا يكتفون بالمرض الذي في قلوبهم بل يحاولون نقل العدوى بين المسلمين !!!

فقال : هذه طباعهم وأخلاقهم ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ سورة الأحزاب

ثم قال : إنهم يتشابهون في كل زمان ... ثم تلا : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ۖ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ سورة آل عمران

إنهم سذج لدرجة اعتقادهم أن الجهاد في سبيل الله يُقصّر من أعمار المجاهدين فوالله لا تموت نفس حتى تستكمل عمرها ورزقها وإذا كانت ملاقاة العدو تقصر الأعمار وتجلب الموت فليختبئوا في بيوتهم ويدفعون الموت إذا أتاهم إن كانوا صادقين ثم تلا : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ۗ ﴿١٤٥﴾﴾ سورة آل عمران

وقال تعالى : ﴿۞ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ سورة النحل

فقلت : بلى والله إن من الناس من يردد هذا كثيرا في زماننا أيضا ...

ثم قلت : إن الكفار يحشدون كل يوم الأموال والأسلحة والعتاد لقتالنا ومحاربتنا !!!

فقرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ سورة الأنفال

سألته بحرقة ألهبت صدري وأسكبت دمعي : ما رأيك بمسلمين في بلادنا وهم للمسلمين أكبر أعداء ويحملون أسلحتهم لقتال إخوانهم المسلمين ، وعندما يدخل اليهود إلى بلاد المسلمين لا يتحركون قيد أنملة وتختفي أسلحتهم ويمنعون المسلمين من أن يدافعوا عن أنفسهم ويحبسون المجاهد منهم ويعذبونه أيما تعذيب وينغصوا على أهله وذويه حياتهم؟!!!!!

فقال : عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا» .

فقلت : والله إنا لنعلم أن منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ...منهم من تسلط عليه حاكمه فلم يعد يتحرك إلا بإذن ذلك الحاكم الظالم ...وإلى الوجهة التي يحددها ...

وخوفا من التنكيل والعذاب يذهب حيث يقال له !!! ومنهم من يتلذذ بتعذيب المسلمين ولا يرقب فيهم إلا ولا ذمة !!!!

فقال : وجب عليهم ترك ما هم فيه فلا يجوز لعاقل أن يترك أمر آخرته ودنياه لأناس لا يتقون الله ولا يخشون عذابه وبطشه بمن هم أهل لعذابه وبطشه ... إلى متى سيبقون هكذا ؟!! لن يتوقف هؤلاء حتى يخسرونهم الدنيا والآخرة وحينها لا ينفع ندم النادمين ... وإثم سكوتهم كبير لأنهم يملكون السلاح والعتاد فأصبح القتال فرضا عليهم أكثر من غيرهم.. ولا عذر لهم ...وأما من اتخذ من المسلمين أعداء فليعلم أنه بهذا يعادي الله ورسوله ولينتظر عواقب ذلك العداء عافانا الله وإياكم ...

ثم تلا قوله تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ سورة المجادلة

فقلت : أسأل الله لنا ولهم الصلاح والفلاح ...

فقال : أرى أن توصي قومك بالتآخي والوحدة فهو خير.... فقد قال رسول الله ﷺ : **«لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».** ولكن هذا لا يعني التهاون أو التساهل مع من باع دينه وشعبه للكافرين ومن ثبت جرمه وآذى المسلمين في أموالهم وأنفسهم وأعراضهم وجب عقابه بمقتضى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة المائدة ليكون عبرة ولعل الله أن يحفظ المسلمين من شرورهم .

فقلت : كفانا الله شر الفرقة والتشرذم والخيانة ... ونسأله تعالى أن يؤلف بين قلوب المسلمين وأن يهديهم سبل السلام والتوبة فوالله إنا لا نحب أن يقتل أحد نطق يوما ب لا إله إلا الله محمد رسول الله سواء كان صادقا بها أم كاذبا ...

فقال : ومن يحب ولكن من ارتضى أن يكون عدوا لله ولرسوله وللمؤمنين فقد ظلم نفسه بنفسه ثم قال : ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ سورة الزخرف

وهناك من يتوب ويرجع ومن يرفض التوبة والرجوع فلا يأمن عذاب الله !!!

ثم تلا قوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ سورة الأنفال .

فقلت : أعاننا الله على الامتثال لأوامره واجتناب نواهيه ...

فأمّن على دعائي ثم قال : هناك يا أختي حق وهناك باطل ولا يوجد شيء اسمه وسطية بين هذين الجيشين أو حيادية بين هذين الحزبين ... وصراع الحق والباطل بدأ منذ أن خلق تعالى الأرض ومن فيها ... لا يوجد شخص يسمى محايد إما أن تكون مع الحق أو الباطل ... لذا لا نتحجج بالحيادية والموضوعية عند الحديث عن معارك الحق والباطل ومعارك إعلاء كلمة الله ودحر الكافرين ... فليكن المسلم قويا وواضحا في رأيه النابع من قرآننا العظيم وسنة رسولنا الكريم ... ولا يكن كالذين قال الله فيهم : ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ سورة النساء

نسأل الله السلامة ...قلت .

فقال : آمين ...

ثم قال : سيري إلى أخي عبد الرحمن بن جبر ... فإني أعتقد أنه سيفيدك مما سمع من رسول الله ﷺ ..

جزاك الله خيرا ... قلت وأنا أغادر المكان ...

اقتربت شمس ذلك النهار من المغيب ... فقلت محدثة نفسي : علي أن أجد مكانا أمكث فيه قبل أن يحل الليل فها هو النهار يحزم أمتعته ليغادر ... والشمس تلملم خيوطها المشعة منتقلة إلى مكان آخر ...

وبينما أحدث نفسي وأتأمل الغروب .. حتى لمحت ذلك الطفل يشير إلي من بعيد وبقية الأطفال ينظرون إلي ...

وما أن نظرت إليه حتى ضحك وأشار للأطفال بأن يهربوا ... فشعرت بأنهم يريدون من يلعب معهم ...

والأطفال هم الأطفال في كل زمان ومكان يحبون اللهو واللعب ...

ولكن في وطني لا يوجد فيه أطفال حسب التصنيف البشري الذي يقيس الأعوام فقط!!

بل أصبحوا بفعل ما يجري رجالا ونساء قمة في الصبر وعمالقة في القوة والثبات ...

أصبحوا يفهمون أشياء قد غابت عن الكبار في بلدان أخرى !!!!

عرفوا الدنيا على حقيقتها ... عرفوا أن الحياة ما هي إلا وقت يسير ثم تنقضي ... وهناك تكون الحياة ...

لذا فلا تعجب من قول من تراهم أطفالا يحدثونكم عن مكارم الأخلاق ... ويعطون دروسا في التضحية والفداء ... وينجحون نجاحا مبهرا في إعطاء النصائح لمريضي النفوس فاقدي الضمائر وعديمي المسؤوليات !!!

سترى من أطفال وطني الكبار أشياء عجز بالفعل عن القيام بها الكبار ..... كل هذا في نفسي أتحدث به ...

وأكملت سيري فإذا بالأطفال يخرجون من زقاق قريب مني ويصرخون .. ثم علت ضحكاتهم ..فما كان مني سوى أن أشاركهم الضحك ...

وقلت للصغير الذي رافقني إلى بيت أبي موسى : أتعرف الطريق إلى تلك المرأة الكبيرة في السن التي أعطتنا التمر في الصباح ؟ فقال لي : نعم أعرفه جيدا .... فقلت : هلا صحبتني إلى بيتها أريد أن أصل قبل مغيب الشمس ؟

فقال : حسنا ...هيا بنا ...

سرت وإياه مسافة ليست بالقصيرة وفي طريقنا رفع أذان المغرب ...

فإذا بالطفل يقول لي : أريد أن أذهب للمسجد لأصلي ثم نواصل ...تعالي إن شئت ...
فقلت : كما تريد ...

دخلت المسجد ووقفت في صف النساء الذي كان خلف الرجال وشرعنا في الصلاة ...

والعجيب أن الإمام قد بدأ يقرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ سورة التوبة

شعرت برغبة كبيرة في البكاء ... وكأن الجميع قد علم مأساتي ومسألتي فأخذوا على عاتقهم مسؤولية زيادة يقيني وثباتي وصبري ورضاي .... ولم أستطيع أن أمنع نفسي من الإبحار في بحر تفسيرها الذي كنت قد قرأته في أيسر التفاسير للجزائري :

" ذكر الله تعالى فضل الجهاد ترغيبا فيه ولما أعد لأهله ، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ وهذا هو المُثَمّن الذي أعطى الله تعالى فيه الثمن وهو الجنة ، وقوله تعالى : ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ يقتلون : أي أعداء الله المشركين ، ويقتلون : أي يستشهدون في معارك القتال ، وقوله : ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ أي تقريرا له وتثبيتا ...

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ استفهام بمعنى النفي أي لا أحد مطلقا أوفى بوعده من الله إذا عاهد من الله ..

وأما قوله تعالى : ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي فسروا بذلك وافرحوا وذلك البيع والاستبشار هو الفوز العظيم الذي لا فوز خير ولا أعظم منه " .

أي كرامة وعزة هذه ؟! أي تجارة أربح من هذه التجارة ؟!

أي بيع أجمل من هذا البيع ؟! نبيع أغلى ما نملك نبيع أرواحنا ... ولكن لمن؟ من المشتري ؟! لله عزوجل ... يشتري منا أرواحنا .... والثمن ماذا ؟ الثمن الجنة ...

أليست الجنة غاية كل مؤمن ومؤمنة في هذه الدنيا ؟؟

الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ..

ستكون جزاء بيعنا لأرواحنا في سبيل الله ....

من هم البائعين لله أرواحهم ؟! من الذين تاجروا مع الله ؟!

إنهم المؤمنون الذين يقتلون أعداء الله ويقتلون ويستشهدون ويرتقون ويربحون البيع!!!! سوق لله فتحت فمن يبغي تجارة رابحة مع الإله تجارة لن تبور ؟!!

استجبتم للنداء وبعتم أرواحكم ... امتثالا لأمره جل في علاه...

وقمتم بأول خطوات التجارة وأوفيتم بالوعد ...

أنتم فعلتم ما عليكم وبقي وعد الله الذي لن تجد أحدا أوفى منه جل في علاه ...

الله عزوجل يقول لنا : فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به .... فافرحوا ...

سروا لهذا البيع العظيم وهذه التجارة الرابحة ... افرحوا فهذا هو الفوز العظيم ...

اسعدوا وإن السعادة لم تخلق إلا لهذا اليوم الذي تربح فيه الجنة يا لسعدكم !!!

يا الله ما أكرمك !!!! وما أجزل عطائك !!!! ثمن بيع عبدك لروحه في سبيلك الجنة ؟!!

ما أعظم هباتك يا الله !!!!

انتهت الصلاة وغادرت المسجد وأنا أشعر بانشراح كبير في صدري وخفة وكأنني أزلت أحمالا عن ظهري وأصبحت كالفراشة في الخفة والنشاط ... خرجت وإذا بذاك الطفل ينتظرني ... ذهبت إليه ومشينا معا ... قلت له : ما اسمك ؟!

فقال : محمد ثم قال : صلى الله على نبينا محمد ..

فقلت : عليه الصلاة والسلام ... ومضينا يحدثني تارة عن رعيه للأغنام مع أبناء عم له وتارة عن بيته وأنه يعتني بأمه وإخوته الصغار بعد رحيل والده .. وتارة يحدثني عن رفاقه ولعبهم ومرحهم معا ...

ولم أشعر بطول الطريق ... فقال : ها هو بيت أم عمار إنها امرأة طيبة وتروي الكثير من القصص الممتعة ستسعدين معها...

فقلت له: شكرا جزيلا لك ....انتبه لنفسك ...قلت له ذلك بينما كان قد ابتعد راكضا ويلوح لي بيده مودعا ...

تقدمت إلى بيت أم عمار كما أخبرني باسمها محمد فطرقت باب بيتها الخشبي المتهالك ... والذي كان الصوت الصادر عن فتحه كأنه أنين ألم كما باقي أبواب هذه المنازل توحي بضعفه الكبير وكبر سنه ... فتحت العجوز الباب فبدت ملامح السعادة على وجهها ...

ثم قالت : أهلا بك يا ابنتي ... عرفت أنك ستعودين إلي ... وابتسمت ثم قالت : ادخلي البيت بيتك يا ابنتي ...

دخلت ولا أخفي مدى استغرابي من كلامها ..وكيف عرفت أني سأعود إليها ؟!!

كل ما في البيت قطع من الحصير المصنوع من سعف النخيل وبعض الأواني الفخارية والخشبية وبعض الأغطية ...

قالت : اجلسي هنا ... وسأجلب طعاما نأكله .. ..

جلست على ذلك الحصير الذي شعرت بأنه لا فائدة منه فهو ليس مريح أبدا ....

أغمضت عيني وبدأت أتذكر كل كلمة سمعتها أو قلتها اليوم ..

قلّبت الوجوه التي سجلت ملامحها في ذاكرتي ...

بدأت أرتب العبر والدروس التي تعلمتها اليوم ...

ما الذي جمعته من إجابات على أسئلة حيرتني وكثير من المسلمين اليوم ؟

هل هذا كاف لأخرج من هذا العالم وأعود إلى عالمي من جديد ؟!!

دخلت العجوز وقالت : هل غفوت يا ابنتي .. يبدو أنك متعبة جدا ... وهمت بإحضار أحد الأغطية لتغطيني ...

ولكني قلت : لا يا أمي لم أنم بعد ... فالتفت إلي وقالت : لا تريدين تضييع العشاء وأتبعت كلامها بابتسامة لطيفة ... قلت : لربما هو كذلك ... جلسنا لتناول العشاء وفوجئت به وعاءين صغيرين في كل واحد منهما القليل من الحليب وخبز بجانب كل وعاء ... قالت : يبدو أن العشاء لم يعجبك !!

قلت : لا ليس كذلك ، إنما أفكر كيف لو نضع هذا العشاء أمام أحد من مسلمي زماننا هل كان سيرضى به أم لا ؟

قالت : هكذا إذن ... هيا سمي باسم الله ...

انتهينا من تناول هذا العشاء والذي شعرت بشبع كبير بعده ليس لأن الكم كبير ، بل لأني كنت أشعر بالحليب ممزوجا بالرضا والقناعة والخبز قد تم عجنه بالشكر والحمد فكان نتيجة ذلك بركة وفائدة ...

قالت وهي تضع قطعة حصير أخرى بجانبي وتجلس : آه... ما هي حكايتك يا ابنتي ؟!

قلت : أنت من تريدين الحكايات أم أني أريدك أن تروي لي من حكاياتك الجميلة التي أخبرني عنها محمد ؟!

قالت : أنت أولا أخبريني بحكايتك وسأقص عليك من حكاياتي الكثير ...

قلت : آه يا أماه من أين أبدأ ؟!!! ورويت لها قصة فلسطين منذ وعد بلفور حتى معركة الطوفان وكل ما تخلل ذلك من نكبات ونكسات و بشائر وانتصارات مراعية بذلك تشبيه بعض الأشياء عندنا وتقريبها لفهمها من أشياء عندهم فلم أقل لها إسرائيل بل قلت اليهود ولم أقل الدول الغربية بل قلت بلاد الكفار وهكذا...

وكانت تصغي باهتمام تام وكل كلمة أقول أجد صداها يظهر على وجهها فمرة تغضب ومرة تبكي ومرة تضحك ومرة تتعجب ومرة تتساءل مما دفعني لأسترسل في الحديث وأطيل الخوض في التفاصيل وكانت لا تبدي ضجرا ولا مللا .... بل اهتماما وتفاعلا .... فقلت : وهذه حكايتي ...

صمتت قليلا وهي تنظر إلي ثم قالت : حكايتك تتشابه مع معظم حكاياتي ...

سأروي لك قصص لم تكن خيالية أبدا ...بل حدثت في الواقع في زمن غابر ...

سأرويها لك وأخبري نساء قومك بها عندما تعودي إليهن علها تخفف عليهن مصابهن وتربط على قلوبهن ....

فلما رأت فضولا كبيرا أبديته واهتماما بالغا في معرفة الحكايات ...

قالت : هل تسمعين المؤذن ينادي للصلاة ؟

فقلت : نعم ، وقت صلاة العشاء .

فقالت : فلنصلي أولا ....

قلت : لك هذا ولكني أرغب في سماع الحكايات ...

قالت : لم أقل شيئا بخصوصها ولكن فلنصلي أولا ..

صلينا معا في مسجد قريب من بيتها فكانت تصر على الصلاة في المسجد رغم تعبها وكبر سنها .. رغم أن صلاة المرأة في بيتها أفضل ولكنها تقول لي : هذا المسجد فيه ذكريات كثيرة لأحبة لم يعودوا سوى ذكرى ... ألمح دمعاتها تجاهد لتخرج من عينيها المرهقتين وسرعان ما تعلن الانتصار في معركة الكبت والتصبر عن البكاء... لم أطلب منها التفاصيل فقد رأيت ألم كبير يعتصرها وهي تتحدث .....

تلا الإمام نفس الآيات التي كنت قد سمعتها من إمام آخر في مسجد آخر وكأن الله عزوجل يريدني بعد أن أفسر الآيات أن أعيد تثبيتها في قلبي وأعيد تذوقها من جديد بعد فهمها وتدبرها ...

أنهينا الصلاة وعدنا إلى البيت وعدنا للجلوس على الحصير !!!

قالت : إليك الحكاية الأولى :

في قصر فرعون ... كانت الحكاية ...

كان فرعون قد جلب لابنته المدللة ماشطة تسرح لها شعرها ... وفي أحد الأيام بينما تلك الماشطة تمشط ابنة فرعون حتى وقع المشط من يدها فقالت : باسم الله ... فقالت ابنة فرعون : أبي ؟! فقالت : لا ولكن ربي ورب أبيك الله ... قالت : أأخبره بذلك ؟!

قالت : نعم .

فأخبرته فدعاها .

فقال فرعون : يا فلانة وإن لك ربا غيري ؟!

قالت : نعم ، ربي وربك الله .

فأمر بقدر من نحاس فأحميت ..

ثم أمر أن تلقى هي وأولادها فيها !!!

قالت : إن لي إليك حاجة !!

قال : وما حاجتك ؟!

قالت : أحب أن تجمع عظامي وعظام أولادي في ثوب واحد وتدفننا !

قال : ذلك لك علينا من الحق !

فأمر بأولادها فألقوا في القدر واحدا واحدا وهي تنظر !!!!!

إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها رضيع ، وكأنها تقاعست من أجله ... ثم التفتت العجوز إلي فقالت : إنها أم ووجعها وألمها لا يمكن وصفه على أولادها ولكن للرضيع نظرة أخرى ورأفة خاصة كادت تقتلها ألما ...

واصلت : قال لها الرضيع : يا أماه ، اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة !!!!

وكانت هذه المرأة العظيمة قد عرف قصتها حبيبنا ﷺ في الليلة التي أسري فيها وكان قد مرت به ريح طيبة ..

فسأل جبريل : ما هذه الرائحة ؟

فقص عليه جبريل عليه السلام الحكاية ...

ها ما رأيك يا ابنتي ؟

أرأيت يا ابنتي كيف تفعل القلوب التي تفيض إيمانا ويقينا بالله ...

ما الذي منح هذه المرأة هذه القوة لتضحي بأغلى ما تملك وتقف بهذا الشموخ أمام أعتى الملوك .. أمام فرعون الذي تكبر كثيرا وطغى في البلاد ويهابه الرجال فكيف بالنساء ؟!!!

إنه الإيمان بالله يا ابنتي يجعل من ضعفنا قوة ... ومن ذلنا عزة ... ومن يأسنا وقنوطنا جبالا من اليقين بوعد الله ...

إنه الإيمان يا ابنتي ... إنه الإيمان ... الإيمان بالله سلاحك الوحيد القادر على الفتك بأكثر الطغاة جبروتا وظلما ...الإيمان لمن يحمله في قلبه جيشا هو قائده !!! الإيمان بالله كرامة في الدنيا والآخرة ....

قلت : والله يا أمي إن وطني ممتلئ بقصص مثل هذه لم يرى الأطفال في قدور تغلي ولكن رموهم بحديد يحمل النار في جوفه ... تهطل على رؤوس الأمهات وأبنائهن كالمطر فيحترقون أمامهن ويتفحمن أمام أولادهن !!!

ولم أر سوى بكاء الفقد وكانت ألسنهن تلهج بالذكر وبالدعاء والصبر .. لدينا الكثير فهمن الدرس يا أماه وتأسن بماشطة ابنة فرعون فلعل الله أن يجمعهن بها في الجنة يذكرن قصص صبرهن وأطفالهن بين أحضانهن وقتلة فلذات أكبادهن في جهنم يصطلون ...

فقالت العجوز : آمين آمين ... إنه الإيمان بالله يا ابنتي يجعل المستحيل ممكنا ...

فقلت : إنه كذلك ...

فقالت : تأخر الوقت يا ابنتي ... وأظن أن عليك أن ترتاحي الآن ... ومعك لتنامي حتى وقت السحر أما إذا حل السحر وأقبل الفجر فلا نوم ... قالت ذلك محاولة إخراجي من عمق تفكيري في قصة الماشطة ومقارنتها مع نساء وطني فلسطين ...

فقلت : إن شاء الله ....

لم أعرف النعاس تلك الليلة ... بل تفكير وتفكير ...

آه اشتقت لوطني ... ترى ما هي الأحوال الآن ؟!

كم وصل عدد الشهداء يا ترى ؟

هل دخلت مساعدات أم لم تدخل ؟

أقصد هل أدخلوا أكفان وتطعيم للكورونا أم لم يفعلوا بعد ؟

فلاحظتُ أني ابتسم ساخرة من كلامي !!

قلت : صحيح ...ربما استطاع مجلس الأمن أن يصدر قرارا بوقف العدوان على غزة ...

لا لا كيف هذا والفيتو الأمريكي جاهز ومتأهب للانقضاض على كل كلمة تتجاوز حدودها و تتجرأ على إسرائيل ؟!!!

حسنا ربما استطاع أنطونيو غوتيرش ورفاقه في الأمم المتحدة أن ينتزعوا قرارا بإدخال المساعدات فورا ....

أمر مستبعد فإسرائيل مغلقة معبر رفح تقول مصر ... ما سوء الظن هذا ؟!!! بل مصر من تغلق المعبر تقول إسرائيل !!!!

ترى ما أنواع الأسلحة الجديدة التي جلبتها ماما أمريكا لطفلتها المدللة إسرائيل ... ترى هل لديها غير الفسفور ؟!!

ما حال المستشفيات والجرحى ؟ الناس جوعى أم أنهم وجدوا ما يسد جوعهم ؟

آه آه آه !!!

كم دبابة وآلية أعطب مجاهدونا ؟!

كم جندي أرسلوه إلى جهنم وبئس المصير ؟!

كم أسير أسروا وكم جريح أوقعوا ؟

ويا ترى هل تحدث الناطق العسكري باسم القسام (أبو عبيدة) وزف البشريات أم أنه لم يتحدث بعد ؟!

ترى كم أسير لديهم قتل بقصف الاحتلال ؟

كم كذبة كذب دانيال هغاري وهل ما زال يجد كذبات أخرى ليرويها لنفسه ؟!!

وكم شتيمة ألحقت بنتنياهو من أهالي الأسرى اليهود قبل الفلسطينيين ؟!

وعلى ذكر الأسرى ترى كيف هي أحوالهم ؟!

وهل اكتشف العرب يا ترى طريقة أخرى للتضامن معنا غير كلمات : ندين ، نستنكر ، نشجب ، نشعر بالقلق ... هذه الكلمات التي اهترأت وأعتقد أنها تحاول الهرب من معجم العربية فلقد أرهقها حكامنا كثيرا ؟!

وما زلت أتساءل وكل سؤال يأخذ مني ساعة أتخيل فيها إجابة ...

وبقيت على حالي حتى رأيت تلك العجوز تأتي إلي وتقول : يا ابنتي استيقظي ... لا تضيعي وقت السحر ... يا ابنتي ها قد نزل ربنا من السماء يريد منا أن نسأله حاجاتنا ...

فقلت لها : لم أنم بعد ... متأكدة من أنه وقت السحر ؟!!

قالت : نعم ... ولقد كنت نائمة وتهذين بكلمات لم أفهما مرة تقولي : أمريكا ومرة فسفور وكورونا وتقولي مجلس أمن وأمم متحدة ... ثم تقولي : هغاري ونتنياهو .... كل هذا تهذين به وتقولي : لم أنم بعد !!!

ضحكت من أعماق قلبي على كلام هذه المرأة البريء....

ثم قلت: ليتها كلمات لا تمت للواقع بصلة وليتها مجرد هذيان نهذي به عندما ننام !!!

ولكنها واقع.... ولكنها قضاء وقدر كتب علينا رؤيتها في حياتنا !!

فقالت : هيا انهضي وسارعي إلى مرضاة ربك ... واغتنمي سويعات البركة والإجابة هذه يا ابنتي ...فلن يضيع من تمسك بها ...وإنك في أمس الحاجة لأن يستجاب دعائك .... هيا ..قبل أن يضيع الوقت ....

قلت : جزاك الله خيرا يا أمي أما أني والله في أمس الحاجة إلى هذه اللحظات المباركة ...

صليت ما كتبه الله لي من ركعات ثم رفعت يدي إلى السماء فقلت :

اللهم يا عالم بما في قلبي ...اللهم يا عالم بأحوال عبادك ...ومطلع على آهاتهم وأوجاعهم ... اللهم من لنا غيرك ؟!!!

يا إلهنا ومولانا من ينصرنا إذا لم تنصرنا ؟!!!

من يرحمنا إذا لم ترحمنا ؟!!!

من يلطف بنا إذا لم تلطف بعبادك المستضعفين يا الله ؟!!

يا رب إنا لنعلم أنك أرحم بعبادك من الأم بابنها فارحمنا والطف بنا ....

اللهم من لأهل غزة غيرك؟!! من لثكالى غزة غيرك ؟!!

من لأطفال غزة الأيتام الجوعى العطشى غيرك ؟!

من لآباء غزة المكلومين المجروحين غيرك ؟!

يا رب من للأسرى الذين يتلوون من العذاب غيرك ؟!

يا رب من حافظ لأعراض المسلمين غيرك ؟!

يا الله من لمجاهدينا غيرك ؟! من لهؤلاء غيرك ؟! يا ربي من لنا غيرك ؟!

اللهم أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على من عادانا وسدد رمي مجاهدينا وأيدهم بجنود من عندك ...

أيدهم بالملائكة مردفين ... اللهم تقبل جهدهم وجهادهم ....

يا رب زلزل الأرض تحت أقدام اليهود الغاصبين ....اللهم إنهم طغوا في البلاد ..وأكثروا فيها الفساد .. فصب عليهم يا قهار سوط عذاب ...

اللهم إنهم لا يعجزونك يا الله ...

اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك ...

اللهم أزل بمجاهدينا دولتهم ... ونكس رايتهم .....ومزق هيبتهم ... وأذلهم يا الله ...

اللهم لا تحقق لهم غاية ... ولا ترفع لهم راية ... واجعلهم للناس عبرة وآية ....

اللهم إن من عبادك من فقدوا فاربط على قلوبهم ... وإن منهم من خافوا فأمنهم ..

وإن منهم من جاعوا فأطعمهم ...وإن منهم من ظمئوا فاروهم ... وإن منهم من استنصروك فانصرهم ولا تخذلهم ...

يا رب العالمين ... اللهم تقبل شهدائهم واجمعنا بهم في عليين...واشف جرحاهم ...واحفظ أسراهم وصن أعراضهم ...

اللهم احرسهم بعينك التي لا تنام ... واكنفهم بكنفك الذي لا يرام ...

اللهم إنا استودعناك أنفسنا والمسلمين جميعا فاحفظنا بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم لا تحملنا وإياهم ما لا طاقة لنا به ...

واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

طوال دعائي لم أسمع العجوز تنطق بكلمة ... فما أن انتهيت حتى نظرت إليها فإذا بها تبكي بكاء شعرت أنها تتمزق !!

قلت : ما بالك يا أمي ؟! ما الذي دهاك ؟! لم كل هذا البكاء ؟!

قالت بصوت أثقله البكاء وأرهقه : لا شيء سوى أني تذكرت أبنائي الأربعة الذين استشهدوا جميعا في ذات اليوم وقد أوصوني قبل أن يخرجوا مع رسول الله أن لا أضيع وقت السَحَر أبدا ..

وأن تكون حصتهم من الدعاء في هذا الوقت تحديدا أكثر من أي وقت ... لذا فكل ليلة لا أستطيع أن أغط في النوم مخافة أن تضيع مني هذه اللحظات ...التي ينتظرها أبنائي كما أنتظرها أنا وأشعر بأنها اللحظات التي نجتمع فيها سويا !!! وهذه حالي كل ليلة بعد رحيل فلذات أكبادي !!!

علاقتي بهذه اللحظات علاقة صلة وقربى فهي تعني لي الكثير وتذكرني بأبنائي !!! ثم عادت تبكي ....وما أن قلتي : يا رب من للثكالى غيرك ؟! حتى تذكرت كلماتي التي كنت أردد دائما يا رب من للثكالى إلا أنت ... قبل أن أنضم إلى ركبهن ... والمسجد يا ابنتي كانت طفولة أبنائي فيه حتى كبروا وأصبح ابني عمار إمامه قبل أن يرحلوا شهداء ... لذا فلا أحب أن أصلي إلا فيه ...

ما عساي أن أفعل ؟! قلت في نفسي وأنا أجاهد أن لا تذرف عيني ... ثم اقتربت من تلك العجوز وقبلت رأسها..

وقلت : ربط الله على قلبك يا أماه ... أسأل الله العظيم أن يجمعك بهم في عليين ...نعم إنهم أحياء يسمعونك الآن ..فلا تبكي ..سيحزنون كثيرا ...

فقالت : لقد اشتقت لهم كثيرا ...

قلت : لا بأس اصبري واحتسبي ولا تنسي جزاء الصابرين ...

ثم تلوت قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ سورة البقرة

اصبري يا أماه وأجرك على الله ... ربط الله على قلبك ...

شعرت بأنها ارتاحت قليلا ... ثم تسللت ابتسامة من بين جبال الحزن والألم وقالت : جزاك الله خيرا يا ابنتي كل ليلة أواسي نفسي بنفسي ولكني الليلة وجدت من يواسيني... بارك الله فيك ...

ثم قامت ومشت بخطوات متثاقلة عبرت لي عن مدى تعبها وكبر سنها واتجهت نحو وعاء صغير أزالت الغطاء وأحضرت معه كوبين من الماء ثم قالت : فلنلحق قبل أن يرفع الآذان ... فقلت : نلحق ماذا؟!!

فقالت : غدا الأثنين والصيام فيه أجر كبير ورأس مال المؤمنين الأجر .. أليس كذلك ؟

قلت : بلى يا أمي ... والله إن الأجر زاد الأتقياء ... جعلنا الله منهم ...

ولكن ألست متعبة ؟!

أظن أن الصيام سيتعبك كثيرا ؟!

فقالت : والله لا راحة لي إلا به ... ولا سكينة لروحي إلا به ... ولا بركة في يومي إلا به ...ولا دواء لعللي إلا به ...

أعجبني قول هذه المرأة وزاد من احترامي لها وأنا أراها متمسكة بالنوافل أيما تمسك ... إنها مثال يحتذى به ... وتذكرت أن من المسلمين اليوم من لا يهتم لهذه المواسم الطيبة ... وبالكاد يصوم رمضان !!!

قلت : لا أسكن الله جسدك علة ...

ابتسمت وقالت : وإياك ... هيا تسحروا فإن في السحور بركة ...

.... رفع آذان الفجر وإذا بالناس يهرعون من بيوتهم للمسجد أفواجا وجماعات ... رجالا ونساء أطفالا وشيوخا ... تلبية لنداء الرحمن ....

طلبت مني العجوز أن أصحبها إلى المسجد القريب أو قل دفتر ذكريات من الطفولة قد سطرت في جنباته فكان الذهاب إليه بالنسبة لأم عمار هو تقليب للذكريات مع مشاعر إيمانية عظيمة تصبرها وتربط على قلبها .... فما كان مني إلا أن وافقت ...

بدأت الصلاة وشرع الإمام بالتلاوة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ سورة الصف

خير بداية لهذا اليوم ... وخير وصية أوصى بها اليوم ... ودرة جديدة أضيفها لسلسلة الدرر التي اكتسبتها بالأمس ...

أنهينا صلاتنا وعدت مع العجوز إلى بيتها ... ولكن لفت انتباهي حيوية الناس ونشاطهم ... انشراحهم وسعادتهم ... الذي لم يخفى علي أثره وعلاماته ... وكأنهم كانوا يحملون أثقالا على ظهورهم قبل الصلاة وأزالوها الآن بصلاتهم !!! قلت : ألهذا الحد تؤثر فيهم الصلاة ؟! يبدو أنهم فهموا جوهر الصلاة فعلا ... فلم تكن مهمة روتينية عادية ... بل لقاء متجدد مع حبيب يشكون له ما آلمهم وما أرقهم ... وسرعان ما يختفي هذا الألم وهذا الأرق !!! يا ليتنا نتعلم صلاتنا من جديد ومن هؤلاء ...

عدنا لبيت أم عمار وبدأت أعيد تلاوة ما تلاه الإمام في صلاة الفجر ... وأتعمق في معانيها الجليلة أكثر فأكثر ...

عاد الله عزوجل إلى ذكر التجارة والبيع وكأنه عزوجل عرف أن أكثر ما يهم الناس في الغالب التجارة وكسب المال فكانت هذه الكلمات : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ﴾... كافية لجذب انتباه الناس والمؤمنين إلى أن يصغوا لهذه التجارة وما الربح الذي ينالون !!

ثم قطع الله عزوجل عليهم تساؤلاتهم فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾

وأي ربح أعظم من أن تنجو من عذاب الله ؟!

أي فوز بعد أن يحرم جسدك على نار جهنم ؟!

أي عيد هذا وأي سرور أن تنجو من شر الشرور ؟!

تجارة تكون عاقبتها النجاة !!! النجاة من ماذا ؟! من عذاب أليم بعث الله عزوجل أنبياءه ورسله تترا محذرين خلقه من هذا العذاب الأليم !!!

تجارة هذه عاقبتها أليست أربح تجارة وأصدق تجارة وأسعد تجارة ؟!

حسنا يا رب ما هي هذه التجارة ؟!

ما الذي علينا أن نقدمه وماذا نبيع حتى ننال هذا الربح العظيم ؟!

الجواب في الآية التالية لهذا السؤال الإلهي :

١- ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: يا رب قد آمنا بك وبحبيبك ﷺ ورضينا بك ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا... ما الشرط الثاني ؟!

٢- ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾: هذا الشرط لن يتحقق إلا بالشرط السابق وهو الإيمان بالله عزوجل وبرسوله عليه السلام ... ولكن من الملاحظ أن هذا الشرط مهم جدا !! وذلك لأنه تبع الإيمان بالله وبرسوله !!
فالجهاد في المرتبة الثانية إذن !!!
بالأموال كيف ؟!
أظن الجواب : بالصدقة والزكاة ودفع المال إلى كل مشروع خير يرتقي بهذه الأمة وبناء مساجد ومدارس وتسليح وتجهيز مجاهدين ... هذا ما أعتقد ...
حسنا ..أليس ما يقدمه الآن أهلي في غزة والضفة من منازلهم وممتلكاتهم التي يدمرها الاحتلال تعتبر من الجهاد في سبيل الله بالمال ؟!! بالتأكيد بلى ...
فهم قدموا هذه المنازل التي ليس لهم غيرها وشردوا كل ذلك لأنهم قاتلوا في سبيله جل في علاه ....
يا لسعدكم يا من تقدمون الغالي والنفيس لهذه الدعوة المباركة وفي سبيل إعلاء راية الله وراية الإسلام !!!

حسنا وبالأنفس كيف ؟: نعم وهذا يحصل الآن في فلسطين وفي غزة تحديدا ... كل هذه الأرواح التي تفيض إلى بارئها ليست سوى جهاد بأنفسهم ... عائلات كاملة تمسح من السجلات المدنية ... وعائلات أخرى يبقى منها فردا واحدا !!

وعائلات يصاب منهم ويستشهد الآخرين !! وآخر تبتر يده أو قدمه !! ومنهم من يفقد بصره أو يصبح قعيدا لشظية في ظهره ألزمته الكرسي !!! وآخر يموت جوعا وعطشا من الحصار الظالم !!!

حسنا هذا جانب وأولئك الذين نراهم يثخنون في العدو الجراح ؟! أليسوا يجاهدون بأنفسهم ؟!
بلى والله .. إنهم يتوغلون إلى جحور أعدائهم واضعين أرواحهم على أكفهم في سبيلك يا رب !! من مسافة أقل من الصفر يزرعون عبواتهم في آلات الحقد الصهيونية نصرة لك يا رب ونصرة لدينك !! فاللهم تقبل منهم تجارتهم واجعل بيعهم رابحا ...
بعد كل هذا ماذا قال الله عزوجل في الآية التي تليها لقد ذكر لنا أوجه الجزاء لهؤلاء المؤمنين المجاهدين وأوجه الربح الذي يناله المتاجرين مع الله :
وهي :

١- ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ .. وهل نريد غير ذلك ؟! وهل تتفطر أقدام القائمين الليل وتظمأ حلوق الصائمين في النهار .. وتقدم الأموال والأرواح ..إلا لهذا الهدف العظيم ولهذه الغاية النبيلة ؟!

٢- ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.... وهل بعد هذا النعيم نعيم ؟! الجنة هي الثمن !! الجنة هي الربح !! بما فيها من أنهار تجري وقصور وما لا يمكن تخيله ولا وصفه ... في الجنة حيث لا كدر ولا حزن ... لا هم ولا ألم ... لا موت ولا فراق ... لا جوع ولا عطش ... لا لكل ما نكره وتنفر منه نفوسنا ... ونعم لكل ما نحب وتهوى قلوبنا ... فما الذي نريد غير الجنة؟! ومن يبحث عن غيرها ؟!!!!!!

٣- ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾
وأخرى والله نحبها ولها سالت الكثير من الدماء أنهرا ... ولها أصبحت البيوت رمادا ... ولها أمضى الأسير حياته بن جدران العذاب مكبلا ... ولها قُدم الأبناء والآباء ... ولها ولها ولها ....
ألا يسعدنا أن نرى ذلك اليوم الذي لن يكون فيه يهوديا فاجرا على أرضنا؟!!
ألا نحب أن نرى باحات الأقصى قد استعادت بهجتها وطهرها ؟!
ألا نحب أن نسجد فيه سجود الفاتحين ؟!
وتعلو تكبيراتنا تعانق السماء ؟!

ألا نحب أن تعود الطيور إلى أعشاشها والمشردين إلى بيوتهم ؟!
والأسرى إلى أحضان أهاليهم ؟!

ألا نحب أن نرتحل في بلادنا من شبر إلى شبر دون حواجز وإهانات ؟!
ودون اعتداء واستفزازات ؟!

وبشر المؤمنين أنه لا خاتمة ولا نتيجة لما قدمتموه سوى جنة للراحلين و نصر من الله وفتح قريب للباقين وكلا وعدنا ربنا خيرا ... وكله خير وكله عطاء لا حدود له ... وهذا وعد الله الذي لا يخلف وعده فبشر المؤمنين ... وبشر المكلومين .. وبشر المحزونين .. وبشر المجاهدين .... وبشر ....

يا لعظمتك يا ربنا ....

كان حديثا مع نفسي ولكن كأنه كان ظاهرا لتلك العجوز .. فكأنها عرفت ما أفكر فيه ... ووجدت نور هذه الآيات يسطع في عيني فرحا وسرورا بوعد الله ...

فقالت : أراك سعيدة !!!

فقلت بقلب قد أزهرت هذه الآيات فيه يقينا وإيمانا ...
وسقي بعذب الكلمات فارتوى سكينة واطمئنانا وبعد أن قرأت تلك الآيات: أنى للحزن أن يتمكن من قلوبنا يا أماه ونحن نقرأ آيات ربنا تزف لنا البشرى تلو البشرى وتلقي في قلوبنا دفئا وأمنا ؟!!!!

أنى لليأس أن يتمكن من أفكارنا فيحيلنا عاجزين مقهورين ونحن نقرأ هذه الدرر من كلام ربنا التي تحيل عجزنا قدرة وقوة وقهرنا شفاء وعزة ؟!!!

أنى للوجع أن يمزق قلوبنا وتحطمها ونحن نقرأ هذه الآيات العطرة الندية تلملم شظايا قلوبنا وتشدها بحبل الإيمان واليقين ؟!!!

أنى لعقولنا أن تصدق أقوال الكاذبين بأننا بعد هذه التضحيات نحو الهزيمة سائرين وربنا جل في علاه وعدنا بأن النصر حليف المؤمنين وما هذه التضحيات والدماء إلا إلى ذلك سبيل ؟!!

شعرت بأن قلبي قد نطق بهذه الكلمات بإيمان كبير !!!

ابتسمت العجوز بينما رأيت خشوعا عجيبا يأسرها ودمعات تترقرق في مقلها تحاول إخفائها !!!
فقالت : صدقت يا ابنتي ... ونعم بالله .. ونعم بالله ...
تذكرت هذه الآية عندما رأيت خشوعها العجيب : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ سورة الأنفال

ودعتها وقلت : حصنيني بالدعاء يا أماه فأظن دعائك مستجابا ....
سرت العجوز لما قلت فأومأت برأسها موافقة .....

ومع بزوغ الشمس وعلى تمتمات الدعاء لي تلهج بها هذه الأم الطيبة خرجت إلى حيث وجهتي .... إلى عبد الرحمن بن جبر - رضي الله عنه -....

معاني الحياة ينطق به كل ما تراه من حولك ...

الناس منشغلين بأعمالهم ... لا تر أحدا جالسا ...

الجميع يعمل فهذا يبيع الأقمشة .. وهذا يبيع القمح والشعير ...

وهذا يرعى الأغنام ...وهذه تخيط وتتاجر ... وهذه تجلب الماء ...

وهذه تطحن الحب ... وهذه تغسل ... والأطفال يركضون هنا وهناك ...

الحياة تدب في هؤلاء الناس ... الجميع يسعى...

مظاهر الترف والبذخ ليست متوافرة !!!

ومع ذلك تشعر بالسعادة تنبع بها كلماتهم ونظراتهم وحركاتهم وسكناتهم!!!

فازددت إيمانا بأن السعادة ليست بالقصور ولا الدور ولا الخدم ولا أي شيء مادي قادر على جلب كل هذه السعادة في قلوب الناس ... السعادة كما استشفيتها من هؤلاء إنما هي

إيمان بالله وراحة ضمير وبال وسعي للغاية الإلهية من الوجود مهما كان متعبا ... ليسوا سعداء لأنهم لا يتعبون ...لا بل لأنهم يتعبون ويبذلون !!!

فسبحان الله العظيم ...

من علمنا أن المادة مصدر ومورد السعادة الوحيد ؟! من زرع في عقولنا أن النوم والراحة والأكل والشرب والقصور والسيارات والطيارات والأموال هي مقومات السعادة فقط ولا سعادة بدونها ؟!! لربما هي وسائل راحة وتقوية ولكنها أبدا لن تكون هي مصدر السعادة الحقيقية ....

ومن علم هؤلاء بأن السعادة إنما نبعها وموردها إيمانهم بالله وحتى لو لقوا في هذا الطريق ما لقوا من ابتلاءات واختبارات ترى الرضا سيد الموقف ولسان الحال ... لذا فالسعادة عندهم هي الحال مهما كانت الظروف !!!

أعلم أنهم يسيرون على مفاهيم أقرها إيمانهم بالله في قلوبهم !!!

أما نحن ففي عصر المادة فطغى علينا فكر الكفار والغارقين في مستنقعات الإلحاد !!!

لو أن المادة هي الشيء الوحيد الذي يلزم لتحقيق النصر فكيف هزم طالوت وجيشه وهم فئة قليلة هزموا جيش جالوت الكبير الذي كان يملك من العتاد ما يملك ؟!!

وكيف هزم المسلمون مع رسول الله ﷺ المشركين والكفار وهو لا يملك سوى بضعة سيوف لا تقارن مع عتاد المشركين والكفار ؟!!!!

إذا فالمقياس ليس العتاد والأسلحة (رغم أهميتها وضرورة توافرها وتأتي في سياق الأخذ بالأسباب والإعداد والتجهيز الذي أمرنا الله به) إلا أن العقيدة والإيمان الراسخ في القلب هو المعيار الوحيد الذي سيحسم أي معركة ....

الأكثر إيمانا بعقيدته وقضيته هو المنتصر في معارك الدنيا !!

لذا فحقا قلبي مطمئن لوعد الله ولم أتعب نفسي أبدا في متابعة التحليلات السياسية التي تناقش التوقعات لنتائج هذه الحرب ومن الذي سينتصر ... الأمر لمن يؤمن بكتاب الله محسوم ومجزوم لصالح عباده المؤمنين حتى ولو كان فارق الإمكانيات كبير بيننا وبينهم ... إلا أن الفارق أيضا كبير بين قلوبنا وقلوبهم ... قلوبهم أراض جدباء قاحلة خاوية على عروشها تهب فيها أعاصير الرعب فتظهرهم بأضعف مظهر قد يصل إليه إنسان وأهون شكل قد يراه إنسان حتى ولو تدرعوا باللباس الواقي وتدرعوا بالدبابات والآليات المصفحة فقد كان الأولى بهم أن يدرعوا ويحصنوا قلوبهم بالإيمان ولكنهم لا يفقهون...

أما نحن ومجاهدينا فقلوبنا بساتين خضراء تنبض بالحياة مزهرة تهب فيها نسائم الإيمان فتظهرنا أشد بأسا وأكثر شجاعة وإقداما حتى ولو كنا بلا أي دروع ولا حتى نعال !!! فنحن حصنا ودرعنا قلوبنا وهي القلعة والحصن الأولى بالتحصين حصناها بآيات ربنا فكانت لنا خير واق ونصير ....

نعم إنها معركة قلوب وعقول !!!

وصلت إلى حيث أوصاني أنس بن مالك – رضي الله عنه – إلى بيت عبدالرحمن بن جبر .....

كان هناك رجلين يجلسان أمام ذاك البيت يتحدثون باهتمام شديد ...

فكرهت أن أقطع عليهم حديثهم .... ووقفت أفكر ما الحل ؟!

حتى أتى محمد ... سررت جدا برؤيته ورؤية هذه الحيوية تسطع من قسمات وجهه ... جاء نحوي يجري حتى وصلني توقف قليلا يأخذ نفسا عميقا ... ثم رفع رأسه فقال : لقد تعبت جدا حتى وصلتك !! سألت أم عمار عنك فقالت لي إنك متجهة إلى بيت عبدالرحمن بن جبر !! فبقيت أركض حتى لحقت بك !!

فقلت له : لماذا أتعبت نفسك ؟!

قال : لم أنس حبات التمر تلك وأخذ يضحك ..

فقلت : ولكنك تعلم أنها ليست مني ولكن من أم عمار !!!

فقال : ولكنك أنت من أعطاني إياها ووجب علي رد المعروف !!!

قلت له متعجبة من كلامه : معروف ماذا ؟! إذا أردت أن ترد المعروف حقا فاذهب إلى أم عمار !!

فقال : إليك هذه التمرات بدلا من التي أكلتها بالأمس ... لا أحب أن ألقى الله وهناك دين لأحد عندي !!!

قلت : لا كلها أنت فإني صائمة !! وهذا ليس دينا بل هو هدية !!!

قال : إذن تكون فطورك عند المغرب ... لا تجادلي لن آخذها ... كما أن أم عمار أوصتني باللحاق بك ومرافقتك كي لا تضلي الطريق ثم أتبع كلامه بضحكة كبيرة لفتت انتباه الرجلين ...

قال : لم أنت متوقفة ؟! إنهم هناك وينظرون إلينا هيا كما أن عمي عبد الله بن أبي أوفى جالسا معه اذهبي وأسأليهم عما تريدي !!!

أحس بأني قد استصعبت ذلك وبالذات أني شعرت أنهم يتحدثون في أمر مهم ...

فركض نحوهم مسرعا : يا عم عبدالرحمن ... يا عم عبدالرحمن ... تلك الأخت تريد منك حل مشكلة لها وأوصاها بالذهاب إليك عمي أنس بن مالك !!!

قال : حقا ...

قال محمد: نعم ... وأشار لي بالقدوم ...

توجهت نحوهم ... فقال لي : ما حاجتك يا أمة الله ؟!

قلت له قصتي كلها ... وكانا قد أصغيا باهتمام شديد ...

ثم قال عبد الله بن أبي أوفى محدثا عبد الرحمن بن جبر : أمر عظيم والله !!! كيف يمكن أن تحصل هذه الأمور والمسلمين كما تقول فاقت أعدادهم المليار !!

فرد عليه عبد الرحمن : بالفعل غريب جدا ومؤلم وموجع بقدر غرابته !!!

ثم قال : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَا اغْبَرَّتْ -[٢١]- قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ».**

قلت محدثة نفسي : إذا مزيدا من الإثباتات والبراهين التي تؤكد أهمية الجهاد في سبيل الله ...

فإذا به يتبع كلامه : والأولى بالمسلمين أن يسعوا بكل قوة لأن يحصلوا على هذا الفضل الكبير وهو النجاة من النار !!!

قلت : إن منهم من هم كذلك إن مجاهدينا اليوم يسعون بالفعل لبلوغ هذه الغاية وإنهم لربما قد سمعوا بهذا الحديث فدفعهم ذلك لأن لا يرتدوا النعال لكي تتغبر أقدامهم أثناء جهادهم في سبيل الله تشبها بكم وبرسولنا الحبيب ﷺ و تطبيقا حرفيا لهذا الحديث غير أنهم يفعلون ذلك لما يتطلبه ظروف عملهم أيضا ....

شعرت بهم قد سعدوا لأن هناك من مثل هؤلاء الرجال بيننا اليوم ...

فقال عبدالله بن أبي أوفى : إذا لا خوف على هذه الأمة ما دام بين ظهرانيكم هذه النماذج المشرفة من المجاهدين .... وإذا عدت إليهم أخبريهم أن رسول الله ﷺ قال : **«وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ».** فليصبروا ويجاهدوا في سبيل الله وليعلموا أنه هناك خيارين لا ثالث لهما في معركة الحق والباطل وهي التي قالها جل في علاه في كتابه العزيز

ثم تلا : ﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾**﴾ سورة التوبة

فليس هناك سوى الشهادة أو النصر وهذا ما نرجوه وإياهم وكل فيه عز وأجر وكل منهما فوز عظيم ...ولا خيار لأعداء الله سوى عذاب من عنده يصيبهم به بأيدي المجاهدين ...

قلت : أظنهم أعلم مني بهذه الأحاديث وهذه الآيات فما نرى منهم سوى تطبيق وتنفيذ وامتثال ولله الحمد فأصبحوا كأنهم قرآنا يمشي على الأرض !!! بالتزامهم بأحكامه وسيرة حبيبنا ﷺ... ولكن أريد أن أسأل عن واجب المسلمين اليوم تجاه قضيتنا وما الذي يتوجب عليهم فعله لكي يقوموا بواجب النصرة ؟!!!

فقال عبد الرحمن بن جبر : الأوجب هو النفير وملاقاة الأعداء فلقد قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾**﴾ سورة التوبة

ولكن إذا كانوا كما تقولين لا يستطيعون لأن هناك حدود تفصلهم وتبعدهم وهناك حكام متآمرين فعليهم النفير في الباحات والضغط على حكامهم بكل الوسائل والطرق لكي يوقفوا ما يجري بكل ما يمتلكون ولا عذر لحاكم مسلم أن يكون إخوته المسلمين يذبحون ويقتلون ويهانون وهو تحت إمرته جيش وعتاد أن يبقى ساكنا صامتا وهذا من أبشع صور الخذلان إن لم تصل حد الخيانة معاذ الله ... لا يمكن تصور شيء يمكن أن يمنعهم من ذلك ....

قلت : الدول الإسلامية ضعيفة وأمريكا تتحكم بهم منذ زمن بعيد وكبلتهم باتفاقيات وعهود هذا قولهم لنا عندما نطالبهم بما تفضلت به !!!

رد عبدالله بن أبي أوفى : ما فائدة كل هذه العهود ما دامت أمريكا هذه لم تفي بوعدها وتعلن صراحة أنها تدعم هذه المجازر والمذابح وتمد اليهود بكل ما يحتاجون من عتاد

وأسلحة ؟!! على الأقل فليفعلوا كما تفعل ويمدون المجاهدين بالعتاد والأسلحة المناسبة !!!

قلت : لقد قال المجاهدين كلمتهم وكانت كلمتهم هذه مؤلمة جدا لكل من له ضمير حي فلقد قال المتحدث باسمهم أبو عبيدة : " لم نطلب منكم أن تحركوا الجيوش لا سمح الله !!! لكن الذي لم نستطع تفسيره هو عجزكم عن إدخال المساعدات الإنسانية للناس في غزة المحاصرة " وقلنا لعل الحكام يشعرون بالحياء قليلا فيدفعهم ذلك على الأقل ليدخلوا المساعدات لهؤلاء المنكوبين فقط غذاء ودواء ولكن لم نر إلا القليل القليل والمؤسف أن نصفها أكفان أو غذاء قد انتهت صلاحيته !!! مع أن مجاهدي كتائب القسام وجميع إخوتهم المجاهدين ثلة قليلة لا تصل إلى حد عدد جيوشهم النظامية ولا حتى يمتلكون أسلحة بنفس الكم الذي تمتلك الدول العربية !!!

رأيت علامات حزن وأسى شديدة على وجوههم مع صمت عميق يدل على تعجب شديد ....

قال عبدالرحمن بن جبر : لا أعلم لم اخترتم هؤلاء حكاما لكم ؟! كيف تفكرون وبناء على ماذا تختارون حكامكم ؟!!!

كدت أنفجر ضاحكة لولا أني تماسكت نفسي ثم قلت :

ومن قال أن الشعوب قد اختارتهم ؟!!!

والله لم نختر أحدا منهم قط !! توليهم علينا أمريكا وبما يناسبها ويليق بها !!!

وجميع بلدان الكفار تختار من يحكمها بالانتخابات والترشيح !!!

إلا نحن لم نجرب هذه الانتخابات ونراها ترفا سياسيا ومن الكماليات التي لا يمكننا الحصول عليها !!!

منهم من يحكم لأكثر من عشر سنوات ومنهم من يحكم ل١٥ سنة ومنهم من أصبح إمبراطورا !!!

ومنهم نظام الحكم ملكي متوارث... ولا يحق لأحد الحديث عن انتخابات حتى لو لم يكن الحاكم يملك أي مؤهلات تمكنه من حكم بلاد إسلامية !!!

لذا فاعتصامات الناس في الشوارع لا تؤثر كثيرا على حكامنا فهم يعلمون أن عروشهم ثابتة بثبات أمريكا ولا تهتز إلا إذا اهتزت أمريكا !!!

فتجدهم لأمريكا تابعين ومطيعين إلا من رحم ربي يعصيها في بعض الأحيان !!!

وما أن تلمح أمريكا من أحد الحكام خيرا وصدقا حتى تبدأ بنسج خيوط خبثها للإطاحة وبه بل وللقضاء عليه نهائيا إما بالسجن أو الإعدام وبانقلابات على الحكام تكون نهاية هؤلاء !!!

ثم أن دولا عربية كثيرة تمتلأ سجونها بكل مصلح وداع ومرشد إلى طريق الحق وطريق الله بحجة أنهم يشكلون خطرا أمنيا على أمن هذه الدول وما هم سوى إرهابيون رجعيون متخلفون !!!

ولا يليق بهم سوى السجن والتغييب والتعذيب !!!

وفي حقيقة الأمر هم لا يشكلون خطرا على المسلمين بل يشكلون خطرا على مساعي أمريكا وشقيقاتها في العبث بالأمة ومواردها ولأنهم كشفوا ألاعيبهم ونواياهم الخبيثة وحقدهم الدفين لهذه هذه الأمة ولهذا الدين!!

شعرت بصدمة كبيرة أصيبوا بها بعد كلامي.... هذا فقال عبدالرحمن بن جبر والغضب يكسو وجهه : أتقرؤون القرآن وتتدبرون آياته هل تفهمونه ؟! وهل حكامكم مسلمين فعلا وقرأوا من القرآن شيئا ؟!

قلت ساخرة : نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحدا !!!

فقال : إذن ألم يقرؤوا قوله تعالى : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ سورة آل عمران

ولم يمروا على قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ سورة النساء

ولم يسمعوا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ سورة المائدة

فأكمل عبدالله بن أبي أوفى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ سورة المائدة

وتلا : ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴿١١٣﴾﴾سورة هود

ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴿١﴾﴾سورة الممتحنة

فرد عبدالرحمن بن جبر: بالتأكيد لم يقرؤوا قوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴿٣٢﴾﴾سورة الأحقاف

ثم تلا قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴿١٩﴾﴾سورة الجاثية

وأجزم بأنهم لم يسمعوا بقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴿٤١﴾﴾سورة العنكبوت

ثم قال وكاد ينفجر باكيا : أوأملك أن أراد بهم ربهم شرا !!!

ثم تلا قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴿٨١﴾﴾سورة المائدة

لم تكن هذه الآيات التي سمعتها منهم سوى صفعات كادت ترديني لما شعرت به من قهر وحرج شديد من هذه الحقائق المفزعة والتي كانت سبب تغييب الأمة وتأخرها عقودا طويلة !!!

كنت أنطق كلماتي بصعوبة وقهر وكنت أشعر بحرقتها ومرارتها !!!

كانت هذه الأشكال من الحكام كأنها سكينا قد غرس في قلب الأمة سنينا طويلة .... هؤلاء ليسوا حكاما لأحد في الحقيقة ولا حتى يحكمون أنفسهم هؤلاء ليسوا سوى خداما ومماليكا لأمريكا علينا أن ندرك هذه الحقيقة المرة !!!

علينا أن نعي تماما أنهم لن يقدموا للأمة شيئا وبقائهم على العروش هو تطويل لعمر الذل والهوان الذي عاشته أمتنا !!!

علينا أن نعي تماما نفاقهم وجبنهم !!!

لن يفتحوا الحدود والسدود ويقولوا للناس اذهبوا فأنتم الطلقاء !!!

لن يقولوا لنا قاتلوا الذين كفروا وانصروا إخوتكم وافدوا دينكم ومقدساتكم بالدماء والأرواح !!!

إذا لم يستطيعوا فتح معبر لإدخال المساعدات الغذائية والطبية فهل من المعقول أنهم سيفتحون الحدود ويدعمون بالعتاد و الجنود ؟!

إذا لم تحركهم كل هذه الدماء وهذه المذابح فما الذي سيحركهم !!!

ها قد قالوا كلمتهم ...لقد خذلونا وفهمنا ولو لم تنطق بها ألسنتهم : اذهبوا فقاتلوا أنتم وربكم إنا ها هنا قاعدون ولعدوكم داعمين ولداعمكم لمعاقبين !!!

حاولنا كثيرا أن نحسن الظن بكم ولكن كل يوم تخيبون ظننا وتظهرون لنا أنكم أسوأ من أن نحسن الظن بكم !!!

غُرس في أذهانهم أن شعوبهم عدوة لهم وعليهم التعامل معها بقسوة مفرطة حتى أصبحوا بالفعل أعداء !!!

والمنقذ الوحيد لهم أمريكا وصناديد الكفر !!!

قلت لهم :معذرة على ما سببت لكم من ألم ....

قال عبدالرحمن بن جبر : لا بأس كلنا مسلمين وهذه ليست مشكلة خاصة بك وبقومك فقط بل للأمة الإسلامية جميعا أعانكم الله على هذه الابتلاءات ...

فقال عبدالله بن أبي أوفى : أوصيك وقومك بما أوصانا به الحبيب ﷺ حين قال : **«إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا».**

واذهبي إلى أخينا زيد بن خالد رضي الله عنه واستزيدي لعل الله أن يرفع عنكم ما أنتم فيه....

جزاكم الله خيرا ... قلت ثم غادرت إلى حيث أوصوني ...

وبالطبع رفيقي في هذه الرحلة الطفل المرح محمد ...

الذي كان مصغيا لكل حرف قلته ومراقبا لكل الحوار الذي دار بيننا ....

ولمحت في عينيه تساؤلات كثيرة عجز عن فهم وإيجاد إجاباتها !!!

وما أن ابتعدنا قليلا حتى نظر إلي قائلا : لماذا مشاكلكم كثيرة ؟!! كل من تذهبين إليهم يتفاجئون من مشاكلكم الكثيرة وأراهم ينزعجون جدا مما تقولين ؟!!!

قلت : آه يا محمد ... مشاكلنا لم تكثر سوى لأنا ابتعدنا كثيرا عن ديننا ...

مشاكلنا لم تعرف لنا طريقا سوى بعد أن هجرنا كتاب ربنا ....

مشاكلنا لازمتنا منذ أن فرطنا وتهاونا في الامتثال لأوامر ربنا جل في علاه واجتناب

نواهيه ....

مشاكلنا رفضت أن تغادرنا لأنها وجدت حضنا دافئا يؤويها ...وجدت فرقة وبعدا بين الناس ...

وجدت اتباعا للأهواء وضلالا ..وجدت تبعية وانقيادا لا واعيا لكل ما ينتجه الكفار من ثقافات تافه ساذجة ...

وجدت تقليدا أعمى ... وجهلا مستفحلا ... وأمية قد تمكنت من كثير من المسلمين ..

ليست أمية القراءة والكتابة ... بل أمية في فهم طبيعة ديننا وطبيعة رسالتنا وطبيعة غاية وجودنا ..

وحتى طبيعة الكفار الذين نجري خلفهم بلا تفكير ظننا منا بأنهم موطن الحضارة والثقافة والتقدم !!!

مشاكلنا لا تريد الرحيل من هذا الحضن الدافئ ... حيث حكامنا متسلطون علينا ...

حيث أصبح الواحد منا لا يجد الأمن والأمان سوى في بلاد الكفار !!!

أصبح وطنه سجن له ووطن الكفار حرية واستقرار !!!!! المنفى لم يعد عقوبة بل أصبح أمنية المغترب في وطنه !!!! غيروا المعاني ،و المفاهيم فلم يعد الوطن بالنسبة لكثير من العرب سوى مكان للعذابات والألم والفقر والجوع والقهر والتنكيل والسجن !!!! عبثوا في كل شيء !!! زيفوا الحقائق وزورا الإسلام وحاولت أمريكا وعصابتها أن يخلقوا إسلاما

أمريكيا !!! إسلام يخلق منا نحن العرب والمسلمين أناس جهلة تابعين سوق استهلاكية لمنتجاتهم المادية والفكرية والثقافية !!! إسلاما لا يكون المسلم فيه مهتم بشأن أمته ووطنه !!! إسلاما مزيفا يضعف الأمة ويذلها !!! هذا هو الإسلام الأمريكي الذي حاولت نشره بين الناس !!!!

وما دمنا لم نتخلص من هذا الحضن الدافئ الذي جلب لنا المشاكل من كل حدب وصوب لن تنتهي مشاكلنا !!!!!

هل فهمت شيئا مما قلت ؟!!

أرجو أن لا ترى أيا من هذا في حياتك لأن الأمر قاس جدا ومؤلم !!!

كان قد حزن جدا من كلامي ثم قال وكأنه تذكر شيئا كاد أن ينساه : حدثيني عن الأطفال عندكم كيف يعيشون وماذا يلعبون ؟!

قلت : مثلكم تماما ... الأطفال هم الأطفال يحبون الجري والركض مثلك تماما ...كانوا يلعبون ألعابا كثيرة وجميلة ...

وقبل أن أكمل قال لي : لماذا تقولي كانوا هل كبر جميع الأطفال عندكم ؟!!!

قلت : تقريبا هذا ما حصل ... ولكنهم بقوا بحجمكم ...بمثل طولك وهيئتك ولكن الذي كبر فيهم عقولهم ومثلك تماما أصبحوا يتحدثون بلغة الكبار ويفهمون ما يجري حولهم كما الكبار ... ويتحملون مسؤوليات كبيرة وشديدة كما الكبار ....

قال متعجبا من كلامي : ولماذا كبروا هكذا لِمَ لَم يبقوا صغارا ؟!!

قلت : هذا لم يكن بإرادتهم لقد كبروا بفعل المشاكل التي ذكرتها لك سابقا ... كبروا لأن الكفار لم يسمحوا لهم باللعب بل فرضوا عليهم ما فرضوا على الكبار ... فمثلا نحن محتلين ولديهم الكثير من الأسرى المسلمين وبين هؤلاء الأسرى أطفال !!! مثلا يقتلون الآن الرجال والنساء في غزة ويقتلون الأطفال ... يفقد الأطفال ذويهم فيصبح لزاما عليهم تحمل أعباء يتحملها الكبار عادة !!! فهمت لم الأطفال عندنا كبار ...

قال : نعم الآن فهمت ولكن متى سيتوقف هذا ؟!!

قلت : أصبح وقت ذلك أقرب من أي وقت مضى ... فنحن قريبا سننهي هذا الاحتلال وسيزول كل ما سببه من آلام وأوجاع بمجرد زواله ... ونحن في المرحلة النهائية تقريبا ... وسيعود الأطفال أطفالا ....ويلعبون كما يريدون ...

قال لي : أرجو أن يحصل هذا قريبا ... ولكن ما هي أمريكا ؟!

قلت : إنها بلاد واسعة جدا فيها مسلمين ولكن عددهم قليل وفيها كفار بأعداد كبيرة هم من يحكموها...طماعة وجشعة تريد أن تملك العالم وتتحكم فيه وتسرق جميع خيراته ... أنانية ولا تحب مشاركة أحد في الخيرات الكثيرة التي خلقها الله في الأرض ...

كان غارقا في تفاصيل كل ما قلت محاولا تخيل هذا العالم الموحش وأظن أنه قد صعب عليه ذلك ....

كل هذا الحوار ونحن سائرون في طريقنا نحو زيد بن خالد - رضي الله عنه - ....

والناس مشغولون بأعمالهم ... يبحثون عن أسباب الرزق ....

مشغولون صحيح لكن ليس إلى حد الغرق في هذه الأعمال !!

لا يتحججون بالعمل عندما ينادى للصلاة بل يتركوا ما في أيديهم سريعا ويلبوا النداء !!

ليسوا غارقين لأنهم عبدوا المال كما البعض في زماننا ... بل كل ما في الأمر يريدون أن يحصلوا على قوت يومهم وهم راضين بهذا المال مهما كان قليلا !!!

كل شيء جميل في هذا العالم ... الرمال الذهبية رغم لهيبها جميلة ... أشجار النخيل توحي لك عندما تنظر إليها أنها فخورة بنفسها وبعطاءها تذكرني بخنساوات وطني ... البيوت على بساطتها جميلة ...

كل شيء في هذا العالم تشعر أنه يعطيك درسا ما ... دروسا في جوانب حياتك جميعها ...

قلت لمحمد : أتعرف وجهتنا ؟

قال : نعم أعرفها جيدا ... إن بيته قريبا من مسجد كبير هناك ...

قلت : فلنسرع إذا قبل أن يشتد حر الشمس ... أخاف أن لا أستطيع التحمل من شدة العطش !!

قال : حسنا ولكني سريع أنت التي يجب أن تسرع !! قال ذلك بينما حث خطاه ليسبقني قليلا ...

وصلنا إلى بيت زيد بن خالد ....

أخذ مهمة السؤال عنه محمد ...حيث سأل أهل البيت عنه وسرعان ما جاء يركض بصحبته وكان يحدثه باستمرار ..وكان زيد بن خالد متفاجئ من كلامه ...

رد السلام فرددته ثم قال : أفزعني محمد ما المشاكل الكبيرة التي تعاني منها وتحدثتي مع جميع إخوتي عنها !!!

وما قصة الأطفال الكبار ؟! وما أمريكا هذه ؟!!

التفت نحو محمد فإذا به يتظاهر بعدم الانتباه ...

ثم رويت له تفاصيل الحكاية ....

فقال : آه مما وصل إليه حال المسلمين ... لكن رغم كل هذا الظلام إني أرى شمس الحق قد قوي شعاعها وسطوعها وإني أؤمن بأنه مهما كنتم قليلي العدد والعتاد إلا أنكم ستغيرون العالم أجمع بصبركم وثباتكم على الحق .... ما أعظم هؤلاء القوم !!!

فقلت : نعم بالفعل ... إن دولا كثيرة من دول الكفار بات يسلم الناس فيها أفواجا لما رأوا من هذا الصبر العظيم ... وأحيت هذه المعركة ضمائر وقلوب الكثيرين ... وأول الغيث قطرة والغيث قادم والربيع سيزهر قريبا ...بإذن الله.

فقال : بإذن الله ... بالنسبة للمسلمين وكيف يمكن أن يساندوكم فغير ما تفضل به إخوتي فهناك سبل أخرى ومنها ما قاله الحبيب ﷺ : **«مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا».**

فإذا لم يستطيعوا أن يأتوا للقتال وكانت أماكنهم بعيدة فبإمكانهم عونكم بهذه الطريقة وتسمى الجهاد بالمال... ويجب أن تزال فكرة قد لاحظتها من حديثك أن الناس يعتبرون الجهاد حكمه فرض كفاية إذا قامت به مجموعة سقط الإثم عن الباقين فهذا فهم خاطئ وربما هو سبب عدم تحرك الكثيرين حتى الآن ....إنما الأصل إذا نادى منادي الجهاد أن يلبى النداء فيصبح فرض عين على كل مسلم كالصلاة بالضبط إذا نودي للصلاة وجب تلبية نداء الرحمن ... فقد قال تعالى : **﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾** سورة التوبة

"والمقصود ب **﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**: فهذا أمر رباني للمؤمنين بالخروج للجهاد على أي حال كان الخروج من قوة وضعف فليخرج

الشاب القوي كالكبير العاجز والغني كالفقير وأمر الله جل في علاه كان فرضا علينا الالتزام به مهما كان لأن فيه الخير لنا بالتأكيد ...

لذلك قال تعالى ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٤١﴾﴾ : أي نفوركم للجهاد وقتالكم الكافرين إلى أن يتحقق وعد الله خير لكم من الخلود إلى الأرض والرضا بالحياة الدنيا وهي متاع قليل وزائل إن كنتم تعلمون ذلك .

وكان الله عليما بالمنافقين وبنفوسهم فقال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾

ومعنى الآية : يقول الله تعالى لرسوله ﷺ لو كان أولئك المتخلفون عن الجهاد من المنافقين وضعفة الإيمان قد دعوتهم إلى عرض قريب أي غنيمة قريبة أو إلى سفر سهل قاصد معتدل لاتبعوك وخرجوا معك ولأنك دعوتهم إلى تبوك وفي زمن الحر والحاجة فبعدت عليهم الشقة فانتحلوا الأعذار إليك وتخلفوا وقوله تعالى : ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾ : أي لكم قائلين لو استطعنا أي الخروج لخرجنا معكم .

فقال تعالى : ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ حيث يجلبون لها سخط الله وعقابه . ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴿٤٢﴾﴾ في كل ما اعتذروا به ..."

لذا فليصحح كل مسلم إيمانه بالله ويلتزم بما أمر به فالله أعلم بأعذارنا والذين يجاهدون إنما يرفعون الإثم عن أنفسهم فقط وعليك أن تفعل أنت أيضا لترفع عنك هذا الخذلان وذنب عدم النصرة للمسلمين ولكي لا تكون ممن قال الله فيهم: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴿٤٤﴾إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴿٤٥﴾وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴿٤٦﴾لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴿٤٧﴾﴾سورة التوبة

فقال محمد : صدق الله العظيم ولكن يا عمي ما معنى هذه الآيات أريد أن أفهمها ...

أعجب هذا زيد بن خالد ثم قال : لك ذلك ...

"ما زال الحديث عن غزوة تبوك وأحوال المأمورين بالنفير فيها بعد أن عاتب الله عزوجل رسوله في إذنه للمتخلفين في الآية السابقة لهذه الآيات : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴿٤٣﴾﴾سورة التوبة

أخبره أنه لا يستأذنه المؤمنون الصادقون في أن يتخلفوا عن الجهاد بأموالهم وأنفسهم وإنما يستأذنه ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في الإيمان بالله ورسوله ووعده ووعيده ، فهم حيارى مترددون لا يدرون أن يتجهون وهي حالة مزعزع العقيدة كسائر المنافقين ، وأخبره تعالى أنهم كاذبون في اعتذاراتهم إذ لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدته أي أحضروا له أهبته من السلاح وزاد وراحلة ولكنهم كانوا عازمين على عدم الخروج بحال من الأحوال ، ولو لم تأذن لهم بالتخلف لتخلفوا مخالفين قصدك ومتحدين أمرك ، وهذا عائد إلى أن الله تعالى كره خروجهم لما فيه من الضرر والخطر فثبطهم بما ألقى في قلوبهم من الفشل وفي أجسامهم من الكسل كأنما قيل لهم اقعدوا مع القاعدين ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴿٤٤﴾﴾ فيه تقرير لعلمه تعالى بأحوال ونفوس عباده فما أخبر به هو الحق والواقع ، فالمؤمنون الصادقون لا يطلبون التخلف عن الجهاد لإيمانهم وتقواهم والمنافقون هم الذين يطلبون التخلف لشكهم وفجورهم والله أعلم بهم .

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ﴾ أيها الرسول والمؤمنون إي إلى الغزو ﴿ما زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي ضررا وفسادا وبلبة لأفكار المؤمنين بما ينفثونه من سموم القول للتخذيل والتفشيل ﴿وَلَأَوْضَعُوا﴾ أي أسرعوا ركائبهم ﴿خِلَالَكُمْ﴾ أي بين صفوفكم بكلمات التخذيل والتثبيط ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ بذلك ﴿الْفِتْنَةَ﴾ وهي تفريق جمعكم وإثارة العداوة بينكم بما يحسنه المنافقون في كل زمان ومكان من خبيث القول وفاسده ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أي وبينكم أيها المؤمنون ضعاف الإيمان يسمعون منكم وينقلون لهم أخبار أسراركم كما أن منكم من يسمع لهم ويطيعهم ولذا ولغيره كره الله انبعاثهم فثبطهم فقعدوا مع القاعدين من النساء والأطفال والعجز والمرضى وقوله تعالى :﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴿٤٧﴾﴾الذين يعملون على إبطال دينه وهزيمة أوليائه . فلذا صرفهم عن الخروج معكم إلى قتال أعدائكم ."

وكلامي هذا لا أقصد به أن أتهم المسلمين بالنفاق ولكن تحذيرا لهم من أن يقعوا في مثل هذه المصائد التي يحبكها الشيطان للإفساد والتضليل ... ولا أقصد بالخروج للجهاد بشكل غير منظم فالحرب خدعة ولا فائدة ترجى إذا خرجنا دون أن نجهز الخطط والمعدات اللازمة ودون أن نعد نفوسنا ونحصن قلوبنا ونزيد إيماننا بالله لكي يكون الإثخان والإيلام لأعداء الله ولكي لا تشتت جهود المسلمين... فنحن كنا نخرج في معركة جيشا مقابل جيش ولكن ما بدا لي من وصفك وحديثك أنكم في مناطق متفرقة لذا كان لزاما على الذين يهبون للنصرة والجهاد أن يحسنوا التخطيط والتنفيذ ....

وقد قال تعالى : ﴿ ۚ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿٧٢﴾ ﴾سورة الأنفال

وأرجو من كل مسلم أن يمتثل لأمر الله ... ولا يقدم لنا الحجج ..فنحن لا نريد حججا وبإمكانه إقناعنا ولكن الله عليم بما في صدورنا وبما نخفي وما نعلن ... ولا ميثاق مع من لا يفي بعهوده وينكل بالمسلمين بل تحرم مهادنته والتصالح معه إذا كان يسفك دماء المسلمين ويدنس مقدساتهم ويفعل ما يفعل ... وربنا لا يكلفنا ما لا طاقة لنا به فلننتبه لأعذارنا !!!

وبينما هو يتحدث حتى أقبل رجل من بعيد ... ولما اقترب التفت إليه زيد بن خالد

فقال: أهلا بأخي البراء حللت أهلا ووطئت سهلا ... جئتنا فلعلك تنصحنا ...

فرد عليه البراء رضي الله عنه : وبك يا أخي ... السلام عليكم ... ما الذي تريدني أن أنصحك بشأنه ؟!!

فقال زيد : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ... اجلس معنا ... وسأخبرك بالخبر ...

جلس البراء ... وبدأ زيد يقص عليه ما قلته له ... مع تدخلات لطيفة من محمد ... يقاطعهم فيقول : نعم كله بسبب أمريكا الأنانية !!!

ثم تارة يقول : ولأن الناس هجروا القرآن ...

وتارة يقول : حتى أنهم يقتلون الأطفال ويأسرونهم !!!

وما أن عرف البراء الخبر حتى قال : وأزيد على ما تفضلت به يا أخي أنه على المسلمين أن ينفقوا في سبيل الله حسب الحاجات الأكثر إلحاحا للناس وفي كل الجوانب من طعام وشراب وأسلحة وأموال وكل ما يملكون إذا لم يستطيعوا أن يجاهدوا بأنفسهم فليجاهدوا بأموالهم ...

فقد قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾سورة التوبة

ولا أظن أن أحدا ما لا يستطيع أن يقدم المال وخاصة أن الخيرات وفيرة وهذا أقل القليل وأضعف الإيمان ... وهل يوجد مؤمن بالله يكنز الأموال ويعز عليه إنفاقها في سبيل الله وآخرون يقدمون في سبيله جل في علاه ليس فقط المال بل الأرواح والأبناء والأزواج وكل غال ونفيس ؟!!!

فقال زيد : أنى لمؤمن بالله حقا أن يفعل هذا ... وهذا واجب عليهم وحق إخوانهم المنكوبين ولا يحق له أن يكنز أمواله وهو يرى أخيه المسلم لا يجد قوت يومه !! بأي وجه سيلقى الله عزوجل ؟!! ومن يقبل بهذا ؟!!

ثم تلا قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ سورة البقرة

فتلا البراء : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ سورة البقرة

ثم تلا زيد : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ سورة فاطر

فإذا بمحمد يقول : وأنا أحفظ آية تشبهها ...

فتبسم البراء ثم قال اتلوها إذن فتلا محمد قوله تعالى : ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ سورة الحديد

فقال زيد : بارك الله فيك يا محمد ...

أشع وجه محمد بفرح كبير ثم قال : أريد أن تنتهي مشاكلهم سريعا ليعود الأطفال يلعبون كما نحن !!!

ضحكوا من كلامه وحزنوا في نفس الوقت !!! ثم تلا البراء قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ سورة الرعد

فقال زيد : الآيات القرآنية التي تحثنا على الإنفاق كثيرة ولا يجب علينا أن نقرأ القرآن وقلوبنا معرضة عنه بل يجب أن نقرأه وقلوبنا متأهبة مستعدة وما أن تلتقط أمرا ما أمرنا الله به حتى سارعنا إلى فعله وما أن تلتقط نهيا ما حتى ننتهي عنه .... ثم تلا قوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ سورة الحديد

قال محمد باهتمام كبير : يجب أن تقولي للناس المتخاذلين في بلادكم ما قاله ربنا في القرآن الكريم :

﴿ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ سورة البقرة

تعجبت من حديثه ... فقال له البراء مستغربا : يبدو أنك أصبحت تعرف الكثير من الآيات وتفهم معانيها !!!

فقال محمد : نعم ، لقد كنت أرعى الأغنام يوما مع أبناء عمي الثلاثة وكلهم أكبر مني وأحدهم كان يصلي كثيرا ولكنه يكثر من الشتم والآخر لا يصلي ولكنه لا يشتم وبار جدا بوالديه ...

تشاجرا يوما بينما كنا معا من الأكثر صلاحا وذو أفعال الخير الأكثر وأي الأعمال أهم وأولى ....

فذهبا لأخيهما الكبير ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه فقال لهم ممازحا : كلاكما تنطبق عليه هذه الآية ثم تلاها وقال لأخيه الذي يصلي ويشتم أنت مثلا طبقت أمرا وهو الصلاة ولكنك لم تطبق أمرا آخر وهو حفظ اللسان وبر الوالدين فقد قال تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ سورة البقرة

وقال أيضا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ سورة الحجرات

وقال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ سورة لقمان

وكلاكما يفعل شيئا ولا يفعل الآخر ...

وأنا حسب ما سمعت منها شعرت بأن الناس ينفذون أمرا ما مما أمرنا الله به ويتركون آخر .... فهم يصلون ويصومون ويزكون ولكنهم عندما يذكر الجهاد في سبيل الله يتقاعسون ... وكما قالت لي أمي : يجب أن لا نطيع الله فقط في الوقت الذي نحب بل في كل أوقاتنا وبكل ما أمرنا به ... ولا نجعل الهوى هو الحكم بل الله هو الحكم وهو المحرك لجميع ما نقوم به ...

ما شاء الله رددنا ...

ثم قال البراء : **لَمَّا نَزَلَتْ: {لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ} [النساء: ٩٥] مِنَ المُؤْمِنِينَ " دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا، فَجَاءَ بِكَتِفٍ فَكَتَبَهَا، وَشَكَا ابْنُ أُمِّ -[٢٥]- مَكْتُومٍ ضَرَارَتَهُ، فَنَزَلَتْ: {لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} [النساء: ٩٥] "**

وأسأل الله تعالى لكم الثبات والنصر واقتدوا برسول الله ﷺ في كل ما كان يفعل وإني رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: **«لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا، إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا»** .

وقال زيد : ثقوا بوعد الله تعالى واحذروا المنافقين ثم تلا قوله جل في علاه : ﴿**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾**﴾سورة محمد

شكرتهم وغادرت المكان بصحبة محمد الذي كان يشعر بفرحة غامرة لأنه شارك في الحديث وكان التفاعل معه إيجابيا ... فقلت له : لقد كنت بارعا جدا في الحديث وكنت متسرعا جدا أيضا .... فضحك بصوته العالي الذي سرعان ما أوقفه صوت آذان الظهر الذي رفع من المسجد الكبير الذي كان قريبا منا ....

ثم قال : سأسرع للصلاة هيا بنا نسرع فأنا لا أحب أن أكون في الصف الأخير .... وأخذ يجري أمامي ....

كانت كل حركة يقوم بها تضحكني فلقد كان مرحا جدا ... سرت نحو المسجد مع بعض النسوة ....

أنهيت صلاتي وخرجت من المسجد وكنت أشعر بتعب شديد والعطش قد تمكن مني وحرارة الشمس مرتفعة جدا فقلت في نفسي حتى ظروف صيامهم كانت أصعب ... فهذه الأجواء ليست كأجوائنا أبدا ... يا لصبرهم ....

علي أن أعود إلى بيت أم عمار وارتاح قليلا وأكمل بعد صلاة العصر ...

خرج محمد ... فقلت له : لم تأخرت؟!

فقال لي : كان هناك رجلا قدم من مكان بعيد للتجارة ورأيت أنه يتوضأ بشكل خاطئ فأخبرته بذلك وعلمته الطريقة الصحيحة وسعد هذا الرجل جدا ...

قلت : يا إلهي كيف فعلت ذلك لربما أحرجت الرجل ؟!!

فقال : لا لم أفعل فقط ناديته وقلت يا عمي أريد أن أتوضأ أمامك وترى وضوئي صحيحا أم لا وتوضأت أمامه ببطء شديد حتى يحفظ الخطوات جيدا وما أن انتهيت حتى قلت له : ما رأيك هل وضوئي صحيح ؟!!

فقال وهو يربت على كتفي : والله إنك لتحسن الوضوء أكثر مني وسأتوضأ مثلك بعد الآن ....

تعجبت من هذا الصغير فقلت له : ما شاء الله ... حفظك الله ونفع بك الأمة .... وتذكرت قصة الحسن والحسين رضي الله عنهما المشابهة لهذه القصة ...

ثم قلت : أريد أن أذهب إلى بيت أم عمار وبعد أن نصلي العصر نكمل مسيرنا ...

فهز رأسه موافقا ....

صمتنا طويلا حتى قطعنا مسافة ليست بالقصيرة ....

ثم قال محمد : أتمنى أن أستطيع الذهاب إلى بلادك ...

فقلت : لماذا ؟!

فقال : لما كنت سأسمح بهذا أن يحصل !!! ولقلت لحكامكم أن يمدوكم بما تحتاجون رغما عنهم ...وإذا رفضوا اذهب للجيش وأجبرهم على أن يذهبوا لمساعدتكم ... وأتلو عليهم تلك الآية ...

انتبه إلى ضحكة كنت قد حاولت أن أكتمها ...فقال : لم تضحكين هل ما أقوله خطأ ؟!!

قلت : لا بل هو صحيح تماما ولكن الأمر ليس بهذه السهولة يا صغير .... ولو كنت فعلا هناك وقلت لهم ما تقول لي لكان مكانك السجن بتهمة الإرهاب وتشكيل الخطر على الأمن العام !!!!

بارك الله فيك ها هي أم عمار سأذهب إليها ... فسمعت أحدا ينادي : محمد .. محمد فتوقفت ... ونظرت نحو محمد ...

فإذا بأحدهم يمسك بيده ويشدها قائلا :أين كنت ونحن نبحث عنك لم لم تأتي لرعي الأغنام معنا لقد سألنا والدتك عنك فقالت لنا أنك قلت لها بأنك ستلحق بنا؟؟

فقال : أنا لم أقل لها أني سألحق بكم ولكني قلت لها عندما سألتني إلى أين سأذهب وماذا سأفعل فقلت أني سأقوم بما قام به جميع الأنبياء ففهمت أمي أني سأذهب إليكم لرعي الأغنام ولكني قصدت مهمة إرشاد الناس وتعليمهم ومساعدتهم ... ثم أفلت من يدي ابن عمه وهرب وأخذوا يجرون خلفه وهو يضحك ....

أدخل السرور إلى قلبي رغم ما يعتريه من هم وحزن على حال أمتنا وعلى كل الذي ناقشت مع الصحابة هذا اليوم ....

رأتني أم عمار لا زلت متوفقة فقالت : أهلا بك يا ابنتي لماذا لا زلت تقفين عندك؟! ادخلي ....

فقلت : وبك يا أماه ... ها قد دخلت ...

حملت قطعة حصير ووضعتها مقابل أم عمار وجلست أحاول الحصول على قسط من الراحة ولعل عقلي قد تعب أكثر من قدميّ ... لكني لا أستطيع منع نفسي من التفكير والتحليل في كل كلمة قالوها وإلى أي حد نحن لا نطبق من القرآن إلا ما نفضل ونترك ما يصعب على نفوسنا كما قال محمد .... أظن كلامه صحيحا إلى حد كبير ...

كانت أم عمار ترقبني وهي تطحن الحبوب ثم قالت : ما هذه الحال يا ابنتي أراك مهمومة وقد خرجت في الصباح كأنك الطير من السعادة ما الذي جرى ؟!! محمد طفل مهذب لا أتوقع أنه يسبب الأذى !!

قلت : لا لا الأمر ليس محمد ولكن الأمر يخصني أنا أو بالأحرى يخص حال المسلمين اليوم ... وعلى العكس لولا أن محمد كان بصحبتي أدخل علي بعض السرور لكان حالي أسوأ... حفظه الله مشاكس قليلا ولكنه مرح !!!

وكأن العجوز تعمدت قول ذلك لتعيد إلي الابتسامة بعد تذكري لمواقف محمد ...

فقالت : إلى من ذهبت ؟

فقلت : إلى عبدالرحمن بن جبر ووجدته يتحدث مع عبدالله بن أبي أوفى وثم توجهت إلى زيد بن خالد وجاء البراء رضي الله عنهم جميعا ..لقد تألموا كثيرا على هذه الحال وسببت لهم الحزن بكلامي ....

فقالت مطمئنة : لا عليك يا ابنتي ... خيرا فعلت بسؤال هؤلاء ... فلن يجيبوك إلا من القرآن والسنة النبوية ...

قلت : فعلا كذلك ...

قالت : هل نصحاك بالذهاب إلى أحد ما ؟!

قلت : لا لم يقولا شيئا لذا فلا أعلم أين الوجهة بعد الآن ؟!

فقالت : حسنا ارتاحي قليلا الآن ولاحقا نتحدث ...

قلت : لك هذا ...

وما أن قلت هذا حتى عدت أبحر في بحار أفكاري أو إن شئت قلت بحار همومي وأحزاني من جديد ....

لا أعلم بالتحديد سبب جمود المسلمين هذا !!!

لقد كسرت القاعدة العلمية التي تقول أن كل فعل له رد فعل مساو له في الحجم والمقدار فلا أعتقد ردة فعل المسلمين تحديدا كافية ومناسبة لحجم الجرائم التي تحصل الآن في غزة ...ولهذا فإني أعتقد أنها ليست قاعدة بل فرضية حطمت مواقف العرب حلمها بأن تصبح قاعدة لا شذوذ فيها !!!

صحيح أنهم خرجوا مسيرات ومظاهرات كانت نوعا ما كثيفة في الأسابيع الأولى وليس في جميع الدول حتى !!

ولكنها سرعان ما بدأت تصبح أسبوعية بدلا من أن تكون يومية لا بل لحظية فما دام أشقائنا لا يرتاحون في الليل ولا النهار بسبب القصف والدمار والقتل وسفك الدماء ولا يهم هذا الجيش النازي عامل الوقت أبدا فهو لا ينتظر النهار مثلا ليقصف منازل الآمنين!!!

لماذا لا يخرجوا للشوارع ويبنون الخيام ويبقوا معتصمين فيها طالما استمرت الحرب ؟!!

هل اعتدنا على مشاهدة المجازر والجثامين التي تدفن بالعشرات بل بالمئات في مقابر جماعية ؟!

هل تجمدت مشاعرنا وتحجرت قلوبنا ... نحن نبكي معهم صحيح ولكن ليس هذا ما يريدوه !!!

يجب أن يروا مساعدة فعلية ونصرة واقعية تلامس شغاف قلوبهم !!

يجب أن يشعروا بأن المسلمين جميعا خلفهم وبكل قوة شعوبا وحكاما !!

كم مرة ناشدوا الدول العربية والإسلامية بأن يرأفوا لحالهم ولم نر استجابة ؟؟!!!

كم طفل يجب أن يمزق وامرأة تحرق ورجل يتقطع لكي نحرك ساكنا !!!!!!

"ليس بيدنا سوى الدعاء" ... أكثر ما نسمع من الناس ولكني لم أجد آية قرآنية واحدة تقول لنا إذا استنفرنا للجهاد أن نجاهد بالدعاء !!! لا أنكر أهمية الدعاء وكم هي وسيلة ناجحة ومطلوبة ولكنها تحتاج ما يكملها من أعمال من بذل من سعي بهذا يكون لدعائنا معنى !!! وإني أرى أن المجاهد في المعركة دعاؤه مستجاب أكثر منا نحن القاعدين !!! والناس المضحية بالأرواح والأبناء والأحبة لو رفعوا أيديهم يدعون فلن يخيبهم الله لأنهم بذلوا !!! فلندعو ونقنت لله عزوجل ونرفع الأكف ولتلهج الألسنة ولتذرف العينين ولكن هذا غيض من فيض فقط والدعاء وسيلة من عدة وسائل متكاملة ... لا نخدع أنفسنا لنرضي ضمائرنا بأن نقول : نحن ندعو .. الدعاء جزء لا يتجزأ من أعمال النصرة ولكنه ليس كل شيء !!!

الله أعلم بأحوال المسلمين ولو علم ﷻ أنه لن يكون يوما ما المسلمين قادرين على النفير إذا استنفروا لما شددت كثير من الآيات على التهديد والوعيد للمتخلفين والقاعدين عن الجهاد طبعا غير أولي الضرر ولكني لاحظت أن الجميع أصبحوا يصنفون أنفسهم من فئة أولي الضرر وهم ليسوا كذلك !!!

الجميع يتحدث عن الحكام وأنهم هم الذين يكبلونهم ... نعم هذا صحيح ... ولكن هذا ليس بالمعقول ... حسنا بقينا مكبلين بالحكام ... وبقي القتل في غزة ... حسنا وبعد ذلك ماذا ؟!!

تنتصر غزة ويرتقي أهلها كما هم دائما وهم قد قدموا ما عليهم لهذا الدين وللمقدسات ونحن هل فقط عند النصر نحتفل معهم هل هذا ما ينتظرونه منا ؟!!

نحن لم نقم بالمهمة التي فرضها الله علينا تجاه دينه ومقدساته ولهذا لا نستحق أن نحتفل بالنصر أبدا معهم !!!

ألم نر كيف هبت الدول الغربية لنجدة إسرائيل منذ اللحظة الأولى وبكل ما تحتاج ويقفون معها بقوة ولا حتى يسعون لتبرير ما يقومون به فهم لا يهتمون بنا ولا بحكامنا ويعتقدون بأنهم غير مضطرين للتبرير لنا أبدا ...

أما نحن كل كلمة نحاسب عليها وحكامنا يتحسسون كل كلمة ينطقون بها فيا ويلهم إذا ألقوا خطابات الإدانة وحوت هذه الخطابات شكلا من تعاطف مبالغ فيه معنا أو زل لسان أحدهم فلم يقل وعاصمتها القدس الشرقية فقال الغربية أو الموحدة أو شملت على أي كلمة لم يشملها قاموس الرضا الأمريكي الذي ينتقي حكامنا كلامتهم منه !!!

اجتماعاتهم وقممهم التي يسمونها جزافا قمما وهي ليست إلا قعرا عميقا من الهوان والذل يجتمعون في القعر ويتحدثون نفس الكلمات جميعهم يستخدمون نفس الألفاظ ولكن تشعر بأنهم يبدلون أماكن الجُمل فهذا يبدأ بالحديث عن حل الدولتين وآخر ينهي حديثه به وهذا يتوسط كلامه ... وهكذا وكأنها لعبة كون فقرات من هذه الكلمات وهم يبدؤون باللعب في هذا القعر .... ومن أكثر الكلمات تكرارا هي : صاحب السيادة والفخامة والسمو ... لا أعلم سيادة على ماذا إذا كنتم لا تستطيعون أن تحموا حدودكم ومعابركم وما الذي تقصدونه بالفخامة ؟!!!

وما هو تعريفكم للسمو ؟!!

هل أن تهربوا من تحمل مسؤولياتكم تجاه دينكم وإخوانكم ؟! هل تعتبرون تخاذلكم عن نصرة الإنسانية سموا ؟! هل أن يقتل الأطفال والنساء بالآلاف وأنتم تتفرجون تعدونه سموا ؟!!!!!

مصطلحات التبجيل والإدانة في نفس المرتبة من حيث الاستخدام في المحافل العربية وهي الأكثر استهلاكا وإنتاجا ولا يقتات فخاماتنا إلا عليها هي غذائهم الروحي الوحيد !!! يرضون بها حتى ولو كانت على سبيل مجاملة أو بسبب الخوف من التنكيل !!!

وربما إذا قلت صاحب السيادة والفخامة ولم تتبعها ب وصاحب السمو تكون تهمة كافية لرميك في سجون شكهم وريبهم بأنك تضمر لهم الشر في نفسك !!! وستتهم إذا انتقدتهم بأنك تنتمي إلى جماعة إرهابية تحاول زعزعة الأمن وتنشر الفتنة بين الناس كما أنه لا يجوز الخروج على ولي الأمر مهما فعل !!! وهناك من أتقن التبجيل والتطبيل فحصل على الرضا والتمويل !!!

ومن الملاحظ أيضا أنهم يتحدثون في اجتماعات القعر كما لو أنهم منظمات إنسانية وصحية ...

وكأنهم متحدثين باسم الأمم المتحدة ومنظمة الصليب الأحمر !!!

الشعوب تقول نطالب بأن كذا وكذا ويتفاجؤون باجتماع الفخامات وأصحاب السيادة والسمو أيضا يطالبون !!!

تطالبون من بالتحديد إذا كنتم أنتم الحكام لا تملكون كلمة حازمة فتطلبون ممن أن يكون حازما ويوقف العدوان !!!

إذا كانت هذه وظائفكم وحقيقة أدواركم فإذن كل فرد في هذه الشعوب هو حاكم وصاحب سيادة وسمو فهو يتقن ما تقومون به في اجتماعاتكم بكل جدارة يا أصحاب الفخامة !!!

تجتمع أكثر من خمسين دولة إسلامية بعد شهر على الحرب ويستمر الاجتماع لساعات وتبح الحناجر وأثناء الاجتماع يرتقي المئات كما كان الحال قبل الاجتماع وكما سيكون بعده !!!

طالما لم توقف ما يجري أو تغيث من يستغيث فيؤسفني أن أقول : لم يكن هناك داع لهذا الاجتماع ولو أحضرتم أطفالا يمثلون هذه المسرحية بدلا عنكم !!!

لماذا تقام الحفلات الصاخبة في بلاد الحرمين وتحرم المسيرات الداعمة لنا ؟!! أي من الفعلين هو المحرم ؟!! أي الأمرين أبشع وأتفه ؟!!! يا علماء السلاطين اتقوا الله في عباده كيف تقولون ما لا يرضي الله خوفا من إنسان ؟!! الأمة أمانة في أعناقكم فلا تجعلوا الفتوى على مقاس ولي الأمر بل افتوا وتحدثوا بصدق كما جاء في القرآن والسنة !! لو قال إنسان عادي مثل كلامكم لا يلام ولا يدمر مثل ما تدمروا أنتم فاتقوا الله وأصلحوا نفوسكم وأدوا حقوق مرتبتكم بين المسلمين كما يجب ويليق بعلماء المسلمين !!!

هل سمعتم بالنفاق الدولي ؟!!! في هذه الحالة لا يكون المنافق شخص واحد بل تكون دولة كاملة نظام كامل يرتدي ثوب النفاق !!!!

فمثلا مؤسسات حقوق الإنسان الدولية لم نعد نسمع بها !!!

مؤسسات حماية الطفل اختفت !!!

مؤسسات حماية المرأة غادرت الكوكب !!!

ولكنها ستظهر من جديد ولكن أين ؟! عندما يسرق طفل مسلم من عائلته في السويد بحجة قوانين حماية الطفل من العنف الأسري وما هو في حقيقة الأمر إلا للتنكيل بالمسلمين ...

وستظهر العديد من المؤسسات التي تدعو لحماية المرأة عندما يتناولون قضية الحجاب للمسلمات أو إذا قتلت فتاة أوكرانية في الحرب الروسية معها حينها فقط ستسمع بهذه المؤسسات الحقوقية الدولية !!!

لم نكن نهتم بها ولن نفكر في الاهتمام بها أبدا بعد اليوم !!! فهي لها مقاسات وأحجام محددة لا تناسب المسلمين !!!

ومؤسستنا الوحيدة المعترف بها بالنسبة لنا كمسلمين والتي تكفل لنا جميع حقوقنا يجب أن تكون نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولا خير فيما سواها !!!

لا أعلم إلى متى سيبقى الحال هكذا ؟!!

ولكن الذي أعلم أننا سننتصر سواء نصرونا إخواننا أو لم ينصرونا وسنقبل منهم الأعذار ولكن لا أعلم هل سيقبل الله أعذارهم أم سيكون الحال كما قال تعالى : ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ سورة المؤمنون

أيعقل ما تعيشه الأمة الآن ؟!!!

نعلم أن الشعوب لو أتيحت لها الفرصة لجاهدوا بالأرواح والدماء ولكن ولاة أمرنا لا يرون في هذا إلا سوء تقدير وقلة خبرة وتخلف ورجعية !!!!

إذا كنتم عاجزين عن الجهاد وكنتم من فئة أولي الضرر !!!

فلا تحبسوا الناس وتكموا الأفواه ... اتركوا الناس وشأنهم على الأقل ليعبروا عن التضامن والتعاطف معنا كبشر وليس كإخوة ومسلمين !!! أتيحوا الجهاد المالي واضمنوا وصوله لمن يحتاجه .. على الأقل ... وهذا أضعف الإيمان ...

الدول الغربية ما فتئت شعوبها تخرج كل يوم لنصرة الإنسانية كما يقولون ويبدعون في الضغط على حكوماتهم ومع ذلك لا يمنعون من التظاهر وحتى إذا منعوا يخرجون رغما عنهم !!!

والله إن الأولى بقلوب المسلمين أن تكون حية أكثر من قلوب هؤلاء ولكن كل شيء عجيب اليوم !!!!

تذكرت قصة قالها أحد الخطباء حيث قال : كان هناك رجل يصيد العصافير وذات يوم بينما هو يعد فخاخه لاصطياد العصافير وكان الجو باردا جدا فظهر لشدة البرد كأنه يبكي وكانت هناك عصفورتان ترقبانه فقالت إحداهما : ما أرق هذا الرجل !!!

فردت الأخرى : لا تنظري لدموعه بل انظري لصنيع يديه !!!

لذا فالجميع يجيد التباكي وحكامنا كذلك يجيدون التباكي ولكن شعبنا ليس غبيا فهو يرى صنيعكم وعرف حقيقة دموعكم الزائفة !!!

على من يريد أن يدعم غزة أن يتخيل نفسه هناك وكل هذا يحصل أطفاله يقطعون!! والديه يحرقون !! أحبته يسجنون !! بيته يدمر !! ماذا سيكون رد فعله على ما يرى من المسلمين وما الذي سيثلج صدرك ويثبتك من إخوانك المسلمين وأنت في غزة ؟!!

ما الذي تتمنى أن يقدم لك لكي تشعر بتعاطفهم وتضامنهم ؟!

جوابك الصادق هذا هو ما يتوجب عليك فعله لأهل غزة !!

جاءني محمد مسرعا فقال : أختي مررت بعمي أبا هريرة وقد أخبرته أنك لم تحلي مشاكلك بعد فقال لي : أخبرها بأن تأتي للمسجد عند صلاة العصر فلدي ما أوصيها به ...

قلت : شكرا لك يا محمد ولكن كان عليك أن ترعى الأغنام مع أبناء عمك ولا يجوز الكذب أبدا ...

فقال : والله لم أكذب ما شأني إذا لم تفهم أمي قصدي ؟! وبالنسبة لأبناء عمي فقد تلقيت منهم ضربات مبرحة قليلا ولكنهم سامحوني ... وعاد يضحك من جديد فأجبرني على المشاركة رغم أن قلبي يعتصر ألما وقد قاطعني وأنا أفكر في أكثر المواضيع إحباطا وألما ...

فقلت : ولم سامحوك ؟!

فقال : تخليت عن حصتي من الحليب اليوم على أن يتركوني وفعلوا ... ثم التفت إلى أم عمار التي كانت قد خرجت من البيت أثناء شرودي وتفكيري دخلت البيت فقال لها : يا جدتي أم عمار كيف حالك ؟!

قالت : بخير والحمد لله ..

فقال : لقد قالت لي أمي أنها ستأتي لزيارتك الليلة ...

فردت : أهلا وسهلا بها في أي وقت ...

ثم غادر البيت ...

فقالت أم عمار : قلت لأتركك ترتاحين قليلا ولكنك تبدين وكأنك كنت في سفر !!!

قلت : بالفعل سفر وسفر شاق جدا !!

فقالت : يسَّر الله يا ابنتي كل شاق وسهل كل صعب على المسلمين بإذن الله ...

فقلت : آمين ..يا أمي آمين ..

جلست تنتظر الصلاة وأنا جاهدت نفسي وتجاوزت تعبي وقمت للذهاب إلى المسجد للصلاة والبحث عن كلمات تشد الأزر قليلا ...

ذهبت إلى المسجد وخلال سيري صدح الأذان ولم يكن بعيدا كثيرا عن بيت أم عمار ولكنه مسجد صغير مقارنة بغيره ..

صلينا العصر وخرجت باحثة عن أبي هريرة ...

فإذا به يأتي ويقول بعد التحية : أخبرني محمد أنك لم تحلي جميع مسائلك بعد ؟!

قلت : هو كذلك ... معي زاد ولكن رحلتي طويلة وأهل بلدي ينتظرون مني الكثير ... ينتظرون ما يثلج الصدر ويشف القلب .. ويريدون جوابا شافيا كافيا ...

فقال : ليس لكم سوى كتاب الله وهدي نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال : **عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دَعَاهُ خَزَنَةُ الجَنَّةِ، كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ: أَيْ فُلُ هَلُمَّ "، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَاكَ الَّذِي لاَ تَوَى عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»** .

فلتستشعروا عظم الأجر وأنتم تقدموا لهذا الدين لكي تهدأ النفوس وتطمئن لوعد ربها ..

ثم قال : **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ "** .

قلت : كل هذه الأصناف نرى منهم في بلادنا فهم يطعنوا ويمرضوا بسبب جوعهم ومرضهم الذي كان اليهود مسؤولين عنه أكثر لحصارهم الشديد ومنعهم للغذاء والدواء والغرق فهم لا يغرقون عندنا في الماء فقط بل يغرقون في دمائهم وصاحب الهدم وهذا أكثر صنف نراه في هذه الحرب وغيرها فالبيوت تهدم على رؤوس ساكنيها وينتشل من ينتشل ويبقى من يبقى والشهيد في سبيل الله فالمجاهدين ولله الحمد لا زالوا يجاهدون .. فالحمد لله فأغلب من يرحلوا في وطني هم شهداء بالنص النبوي الشريف ... والله إنه لعطاء من رب كريم رحيم ...

فقال : عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَقَابُ قَوْسٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ».**

فقلت : ما أحقر الدنيا !!! أسكننا الله وإياكم الجنة وجعلها جزاء كل مسلم ومسلمة ...

فقال : آمين .

ثم قال : **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»** .

فقلت : يا للجزاء العظيم والثواب الجزيل أرجو من الله أن يناله كل المجاهدين في سبيله ونحن معهم ... فماذا نريد غير الفردوس ويظلنا عرش الرحمن من فوقنا ...

أي جزاء هذا ؟!!! فاللهم لك الحمد حتى يبلغ الحمد منتهاه ...

فإذا به يتلو : ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾**﴾ سورة الرحمن

ثم قال : قال ﷺ : **«مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ، بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ -[١٦]- يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»**

فقلت والسعادة تزيل الحزن الذي وقر في قلبي : إذن مجاهدينا الآن بجهادهم كأنهم صائمين قائمين ومجاهدين في نفس الوقت يا لهنائهم وسرورهم من يبلغ هذا المبلغ العظيم أجر صيام وقيام وجهاد في الوقت عينه ؟!!!

وإذا توفي له الجنة وإذا رجع سالما يرجع مع أجر وغنيمة ... أي عطاء وفضل هذا ... أي سخاء ... أي سعادة وحبور قد تصف المجاهدين عندما يرددون هذا الحديث ؟!!!!!

فقال : ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴿٣٦﴾﴾سورة النبإ

ثم قال : **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: «لاَ أَجِدُهُ» قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلاَ تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلاَ تُفْطِرَ؟»، قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «إِنَّ فَرَسَ المُجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ، فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ»** .

قلت ودموعي تهطل كالغيث : ويحنا كل هذا الأجر للمجاهد ونركن للدنيا ونترك الجهاد!!!!

والله وجب علينا أن نبكي فرحا بهذه الهبات والعطاء اللامحدود من ربنا جل في علاه .. يا لأجر المجاهدين !!!

فتلا أبو هريرة : ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿٢٤﴾﴾سورة الواقعة

وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴿٢٢﴾﴾سورة الانسان

جزاك الله خيرا على هذا الكلام الطيب قلت له ذلك بينما دموع الفرح لا زالت تهطل .... فقال : اذهبي إلى حيث أخي سمرة ...سمعته يتحدث بحديث جميل أيضا ...

ثم قال : أصلح الله حال المسلمين ...

زادت فرحتي فشكرته وتوجهت إلى بيت أم عمار القريب قدماي لا تحملاني من سعادتي الغامرة شعرت كأني أطير من فرحتي بهذه الأجور العظيمة التي تستحق ما يقدم لها من تضحيات وقد تجاهلت تماما كل قصص حكام العرب الجالبة للأسى لكي لا تعكر علي

صفو بهجتي ...ولساني يلهج بالحمد والدعاء بالقبول لكل ما يقدم أبناء شعبي من صور الجهاد والفداء...

عدت إلى أم عمار منشرحة الصدر والسرور حالي كما خرجت صباحا ...

وما أن رأتني أم عمار حتى تهللت أساريرها لما رأت من فرحتي الكبيرة وقالت : أدام الله سعادتنا في الدنيا والآخرة ...

فقلت لها : آمين يا أماه آمين ...

فقالت : ألن تخبريني بسر سعادتك هذه ؟!!

قلت : وما الذي يسعدنا غير وعد الله لعباده المؤمنين وجزيل عطاءه لهم الذي يحيل كل أسانا فرحا وسرورا ويحيل قهر قلوبنا انشراحا وحبورا ...

فقالت : حدثيني عن وعد الله وعن جزيل عطاءه ...

فأخذت أحدثها بكل ما قاله أبو هريرة لي ... وهي تردد : الحمد لله... الحمد لله ... حتى يبلغ الحمد منتهاه ...متعنا الله بهذه الأجور يا ابنتي كما متعنا بسماعها ....

فقلت : آمين يا رب العالمين ...

فقالت : لحظات ويرفع آذان المغرب يا ابنتي فاغتنمي هذه اللحظات وأكثري من الدعاء....

فقلت : جزيت خيرا يا أمي ...

ذهبت من عندي وجلست تتمتم بالدعاء ودمعاتها تتساقط فقلت : يبدو من حالها هذه أنها تدعو لأولادها .... ربط الله على قلبها وعلى قلوب ثكالى المسلمين ...

رفع آذان المغرب بعد لحظات ... فقمت أنا فسكبت الماء لأم عمار ولي وأخرجت تمرات مجد التي أعطاني إياها وأفطرنا عليها ... فقالت أم عمار بعد رشفة الماء : اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ... ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله ...

ثم توجهنا للمسجد القريب بسرعة لكي لا تفوتنا الصلاة ....

شرعنا بالصلاة فتلا الإمام بصوت خاشع أبكى الناس قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ سورة يوسف

وكأن الله تعالى يريد أن يوصل لي مدى ألم أم عمار وكل أم وأب اليوم في غزة وفلسطين عامة ...

حجم ألمهم ووجعهم وهم يفقدون أبنائهم إما شهداء أو أسرى أو حتى مفقودين لا يعلم عنهم خبر .... صوته وهو يقرأ ما قاله تعالى على لسان سيدنا يعقوب زلزل القلوب !!!

فقلت بعد انهائنا للصلاة لأم عمار : ما أعظم صبركم على هذا الفقد فها هو نبي الله يعقوب يظهر لنا مدى تعلق الأب بأبنائه وكيف كان يخاف عليهم خوفا شديدا ...

فقالت لي : نعم هو كذلك ... لا أصعب على الوالدين من فقد أولادهم وقديما قالوا : لا يعرف الصبر من لم يفقد ابن ولسان حالنا ولله الحمد ينطق بهذه الكلمات: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ ...

فصبر جميل : أي بلا سخط على القضاء ... ونحن هكذا فما أن تضرم نيران الشوق لأبنائي في قلبي حتى أسرع لأطفئها بالصلاة والدعاء وترديد هذه الكلمات : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ ....

وصلنا البيت وكانت أم عمار تنتظر زيارة أم محمد لها ....

فقلت لها : هلا أخبرتني بقصة حصلت في زمانكم عن حبكم للجهاد واستجابتكم للنفير ؟!

فقالت : هي كثيرة يا ابنتي وكل منها تعبر عن امتثال عجيب لأوامر الله وخوفا عظيم من عذابه ....

ومنها : " عندما بايع النبي الأنصار كان مما قاله (تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل) ..... فهم ذلك أبو طلحة رضي الله عنه عندما قرأ سورة التوبة فوصل قوله تعالى : ﴿ انْفِرُوا ﴾ ، أي اخرجوا للجهاد ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ فقال لأبنائه " ألا أرى ربي يستنفرني شابا وشيخا ..... جهزوني" أي أنني أفهم من هذه الآية أن ربي يريد مني الخروج للجهاد خفيفا كما في الشباب وثقيلا كما في كبر السن . فجهزوني بعدة الحرب يا

أبنائي فقال له أبنائه : " قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قبض ، أي توفي وغزوت مع أبي بكر حتى مات وغزوت مع عمر ، فنحن نغزو عنك هذا النقاش دار في عهد عثمان رضي الله عنه وقد بلغ أبو طلحة سبعين سنة أو أكثر . فأولاده رأوا أن من حق أبيهم أن يأخذ راحة بعد هذه التضحيات العظيمة في عهد النبي ﷺ واثنين من خلفائه الراشدين لكن أباهم أصر وقال : " جهزوني " ، فجهزوه وكانت غزوة بحرية فركب البحر لكنه مات رضي الله عنه ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام ، أراد الله عزوجل أن يكرم هذا الصحابي فحفظ جسمه في هذا الأسبوع فلم يتغير جسمه ، مع أن الميت يبدأ يتغير من أول يوم في الأجواء الحارة ... نفسيات عظيمة (يا ابنتي) لا تبحث عن أعذار بل تستخرج من الآيات وسائل للتقرب من الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿٣٥﴾﴾سورة المائدة ....." (من كتاب بهم اقتدوا / إياد قنيبي)

فقلت : سبحان الله بالفعل نفسيات عظيمة يا أمي ... ما أعظمهم !!!

فإذا بطرق على الباب قمت لأفتحه فقالت لي أم عمار : انتظري أنا سأفتحه ...

فتحت الباب فسمعتها تقول : أهلا وسهلا بك يا أم محمد ... اشتقنا لك كثيرا .... تفضلي أهلا وسهلا ...

قدمت أم عمار وبصحبتها أم محمد .... وما أن رأتني أم محمد حتى التفتت إلى أم عمار وقالت لها : يبدو أن عندك ضيوف ؟!

فقالت : أولم يخبرك محمد عنها ؟!

قالت : لا لم يخبرني بشيء !!!

فقالت : اجلسي وسنتحدث بكل شيء ..

صافحتني وهي تبتسم وتقول : أهلا بك أرجو أن لا يكون محمدا قد أزعجك ...

فقلت : وبك ... لا على العكس محمد طفل ذكي حفظه الله لك ...

فقالت : آمين ..

جلسنا وقصت أم عمار الحكاية بدلا مني وكانت مهمتي فقط الاستماع وتصحيح بعض المصطلحات والمسميات ...

تأثرت أم محمد جدا بهذا الحديث ورأيتها تكافح كي لا تبكي ... ثم التفتت إلي وقالت : ما أعظم هذه الابتلاءات ولكن الصبر والثبات هما أفضل الحلول لمثل هذه الاختبارات العظيمة التي يمر بها المؤمنون ...

وهذه سنة الله تعالى في خلقه وما خلقنا إلا ليبتلينا ويمحصنا وهذه الابتلاءات هي التي تكشف الناس وتظهرهم على حقيقتهم فقد قال تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴿٣١﴾﴾سورة محمد

وهذه الدنيا مهما ارتحنا فيها ومهما رأينا فيها ما يسعد لن تدوم الراحة ولا السعادة وكذا الحزن والأسى لن يدومان فهي متقلبة في أحوالها لذا فالمؤمن لا يركن لها أبدا ويضعها في يده ولا تسكن قلبه أبدا فهو يعلم أنها المرحلة الأولى فقط وهي مرحلة الغرس ومرحلة الحصاد يوم القيامة وحينها كما يقول تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴿٥١﴾﴾ سورة ابراهيم

وهكذا فإنا نعتبر ما نقدمه في سبيل الله ربح وليس خسارة فلا نقول خسرنا فلانا شهيدا ، بل والله نقولها بقلوبنا قبل ألسننا فزنا ورب الكعبة وربحنا فلانا شهيدا ....

الكفار فقط من يعدون كل صغيرة وكبيرة خسارة فادحة ويقيمون الدنيا ولا يقعدونها إذا خسروا شيئا فيها فهم يرون الدنيا هي الحياة ولا حياة غيرها وصدق فيهم قوله تعالى : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۛ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴿٩٦﴾﴾سورة البقرة

فقلت : صدق الله العظيم ... إنا نرى ما تتحدثين به أمام ناظرنا كل يوم فهم يصابون بالأمراض النفسية والاكتئاب الحاد لفقدهم شيئا ما في قتالهم معنا ....

وبناء على ما تقولين فوجب علينا قول ارتقى منا شهيد لأنه بالفعل يرتقي إلى مكانة أرقى وأعظم ولا نقول سقط شهيد فالسقوط ليس سوى للكفار فهم الذين يسقطون في نار جهنم .. أليس كذلك ؟

فقالت : نعم هو كذلك ...

قالت أم عمار موجهة الحديث إلي : ربحت أم محمد زوجها شهيدا أيضا قبل أعوام ... وها هي ذا صابرة محتسبة فهي مثال يحتذى به للأرملة المؤمنة بالله وبقضائه وقدره ...

فإذا بأم محمد تقول : الحمد لله لو لا أن الله ربط على قلبي لما كنت بهذه القوة والثبات .. الآن ثم تلت قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴿٤﴾﴾سورة الجمعة

الله اختار لنا ونحن باختياره راضين وشاكرين ...

فقلت : جمعكم الله في جناته بإذن الله ... وجعلنا وإياكن من الصابرين المحتسبين لله كل ما نقدم في سبيله ...

ثم تلوت قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿٢٠٠﴾﴾سورة آل عمران

فقالت أم محمد : ﴿... سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴿٢٨٥﴾﴾سورة البقرة

ثم قلت : حدثيني عن دور المرأة أثناء الحروب والخطوب ..وكيف تكون معينة على الخير وعلى مواساة الآخرين ؟!

فقالت أم محمد : النساء بطبعهن ضعيفات وتحركهن المشاعر كثيرا ولكن ذلك لا يعني أن لا يصبرن عند النوائب والبلايا ... لا يجب أن يظهرن ضعفا وجبنا بل يمدن أنفسهن بأسباب القوة فإنهن بانهيار أعصابهن والبكاء والنواح سيؤثرن سلبا على من حولهن وهذا من التثبيط والتخذيل...

وما إن رأيت منهن الصبر والثبات وترديد آيات الله فستنشر بذلك القوة بين الناس فيتقووا ويشتد بأسهم ...

فقالت أم عمار : والمرأة المسلمة يا ابنتي لا يبدأ دورها عند وقوع الحدث بل قبل ذلك بكثير حيث وجب عليها ومن باب الإعداد الذي أمرنا الله به بقوله تعالى :﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴿٦٠﴾﴾سورة الأنفال

والقوة هنا يا ابنتي ليست فقط القوة الجسدية أو العتاد والأسلحة بل القوة الإيمانية التي يجب أن تعززها في قلبها وعقلها ووجدانها وتربي أبنائها عليها و أن تعد نفسها جيدا وذلك بالتزام أوامر الله واجتناب نواهيه ... وأن لا تتهاون في أداء فرض فرضه الله تعالى عليها ومنها الحشمة والستر والتزام الحجاب وذلك ما هو إلا صون لها وللمجتمع بأسره يا ابنتي فهي قلعة وحصن يجب أن لا يخترقه العدو ..

حينها تذكرت كلمات كنت قد قرأتها حين سئل نابليون عن أي حصون الشرق الإسلامي أمنع على فرنسا ؟!!

فقال :الأمهات الصالحات !!!

قالت أم محمد : ويجب أن تكون مع الله في السراء شاكرة حامدة وفاعلة لكل خير حتى لا يتركها جل في علاه عند الضراء ولا تكون كالذين قال فيهم تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ سورة الإسراء

فالمرأة دورها عظيم جدا في مثل هذه الظروف ووجب عليها أن تعد نفسها دائما وأن تتسلح بالإيمان فهو سلاحها الذي لن يخذلها يوما ولكنه يحتاج عناية من فترة لأخرى كي لا يصدأ وذلك بالمعاصي بل يجب عليها تنميته في قلبها بالأعمال الصالحة التي أمرنا بها ...

قالت أم عمار : دور المرأة العظيم لا يقتصر على أن تصلح نفسها فقط بإصلاح غيرها من الناس فمثلا أن تغرس في نفوس أبناءها حب الله تعالى ورسوله وتعلمهم المعاني الجليلة من الإخلاص والشجاعة والعفة والتعاون والفداء وتشعرهم بمسؤوليتهم تجاه هذا الدين ومقدساته وتجاه هذه الأمة وأن تعودهم على نصرة الحق دائما والصبر والثبات على هذا الطريق وكل هذا تستطيع أن تغرسه وسيكون بذلك جيل ينهض بالأمة ويحييها ويعيد لها هيبتها واستقرارها وبهذا فإن دورهن كبير جدا وعظيم فهي يجب أن تضع نصب عينيها أن الأمة بحاجة لمن يكن لها حاميا وحافظا ... وما أجمل أن تكون المسلمة يقصدها الناس لتكون دواء لجروحهم ومفرجة لكروبهم ومعينة لهم بما يرضي الله ... وهذا ما يليق بالمسلمات يا ابنتي ... الطهر والنقاء والشجاعة والإقدام والصبر والإخلاص والوفاء والرحمة والصدق وتحمل المسؤوليات هو ما يليق بنا فقط وهو الذي يرفعنا ويقوينا ...

قلت : سبحان الله .. إن أهلنا في غزة قد عرفوا كل ما يحتاجه النصر من مقومات وأعدوا العدة بكل صورها فهم محاصرين منذ زمن بعيد فصنعوا أسلحتهم بأيديهم ومن المستحيل وأعدوا الرجال والنساء والأطفال إعدادا إيمانيا كبيرا وكان آخر صور هذا الإعداد الإيماني برنامج صفوة الحفاظ بنسختيه الأولى والثانية وما خرجته من عدد كبير فاق الألف وخمسمئة حافظ وحافظة لكتاب الله متقنين له ولأحكامه من غير الذين يحفظونه ولكن ليس بنفس درجة الاتقان فهم مجتمع قرآني رائع وهذا ما جعلهم مدرسة كل طفل وامرأة وشيخ ورجل معلم فيها ليس للمسلمين وحدهم بل للعالم كله وهذه بركة القرآن فسبحان الله العظيم ما أكرمه .... صور صبرهم عظيمة وهذا بفضل عظمة ما يحملونه في صدورهم ... اللهم زدهم ولا تنقصهم وأعطهم ولا تحرمهم وتقبل منهم يا الله ...

فقالت أم محمد : وعليها أن لا تكون واهنة ضعيفة وأن لا تسكن قلبها جبنا وإذا لزم الأمر دافعت عن نفسها وبكل قوة ... وأترك أن تروي أم عمار قصة صفية رضي الله عنها مع اليهودي ...

فقالت أم عمار : نعم،" هذه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وشقيقة حمزة رضي الله عنه وزوجة العوام رضي الله عنه وأم الفارس المقدام الزبير بن العوام ..

لما رأت ما حل بالمسلمين يوم أحد – وكانت تسقي المسلمين الماء – هبت وانتزعت رمحا من أحد المنهزمين ومضت تشق الصفوف وهي تقول : ويحكم أتنهزمون عن رسول الله ﷺ ؟

فلما رآها النبي ﷺ أشار لابنها الزبير وقال له : دونك أمك .

فقال الزبير : إليك إليك ..

فقالت : والله لقد بلغني أنه مُثّل بأخي ولأصبرن في ذات الله ...

وعندما انتهت المعركة وقفت على أخيها حمزة وقد بُقرت بطنه وأُخرجت كبده وقُطعت أذناه وشُوّه وجهه !!!

قالت : لقد رضيت بقضاء الله !!

لم تلطم خدا ولم تشق جيبا ولم تنح وهي تعلم أن ذلك قضاء الله وقدره ...

وها هي صفية يوم الخندق ... يوم وضع النبي ﷺ النساء في حصن حسان ...

وهو حصن من أمنع الحصون .. ولم يترك معهن من الرجال أحدا ...

وذهب الجيش إلى الخندق فإذا بيهودي يتسلل إلى الحصن ليرى إذا كان هناك رجال في الحصن ....أم نساء فقط ..

فيقوم اليهود باقتحام الحصن وسبي النساء ..

فلما رأته صفية رضي الله عنها .. أخذت عمودا من الحصن ثم هجمت عليه وقتلته ولم تكتفي بذلك بل قطعت رأسه ... وصعدت إلى أعلى الحصن ثم رمت برأسه على اليهود فتدحرج رأس اليهودي بينهم ...

فقال اليهود : قد علمنا أن محمدا لن يترك النساء بلا رجال ، أي ظنوا أن هناك رجالا قتلوا هذا اليهودي ...

فكانت صفية أول امرأة قتلت رجلا من المشركين ... كما أنها حمت النساء من أن يسبيهن اليهود ... " (من كتاب همسة في أذن فتاة / حسان شمسي باشا)

فقلت : حقا إنها شجاعة ما أعظم الصحابيات !!! كيف استطاعت أن ترى أخيها بهذا المشهد ولم تنهار وتنح وتبكي ؟!! اللهم ارزقنا شجاعة وصبرا مثلها ...

سعدنا جدا بهذا الحديث فقمنا لأداء صلاة العشاء في مسجد قريب بنشاط وانشراح كبيرين وذلك بفضل الكلمات الطيبة التي كانت محور حديثنا فهو لقاء يحبه الله ورسوله فشعرنا بسكينة وانشراح ....

كنت متشوقة جدا لأعرف ما سيقرأ في هذه الصلاة ... فرسائل التثبيت لا تنتهي ...

شرعنا بالصلاة فتلا الإمام : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ۖ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ سورة البقرة

كانت هذه الآيات كأنها تتحدث عن الحال الآن فما أن انتهت الصلاة حتى عدت بصحبة أم عمار التي كانت متعبة جدا وبعد توديعنا لأم محمد وكنت قد أوصيتها به خيرا .....

لم يكن لدي رغبة في النوم رغم تعبي الشديد ...

قلت : لدي مهمة هذه الليلة وعلي تنفيذها .... وهي بالطبع محاولة تفسير هذه الآيات ومقارنتها مع واقعنا اليوم ...

جلست على قطعة الحصير تلك وجلست بقربي أم عمار لكني شعرت بأنها عرفت ما أفكر فيه فقالت : تفكرين في الآيات التي سمعتها منذ قليل يا ابنتي ؟!

فقلت : نعم وكأنها رسائل قرآنية لي يا أمي ؟!

قالت : القرآن يا ابنتي فيه شفاء لكل عللنا وحل لكل مشاكلنا ووصف لحالنا كما في كل زمان ومكان ... فهذه الآيات لربما ترونها في واقعكم ونحن رأيناها في واقعنا وحياتنا فهو كلام الله يا ابنتي والله عالم بأحوال عباده جلها ....

قلت : بالفعل هذا هو الإعجاز !!

ثم قالت : أترك لك الفرصة لتحليل وتفسير ما سمعتي وأن تستنتجين منه ما ينفعك ....

قلت : شكرا لك وهذه مهمتي ولهذا جئت إلى هنا لأفسر وأستنتج ....

ثم قالت : لا تطيلي السهر وخذي قسطا من الراحة فالتعب والإرهاق ظاهر عليك بشكل كبير ... والموعد وقت السحر ...

قلت : لك ذلك ... إن شاء الله ..

والآن ليس لي سوى أن أستذكر على عجل تفسير هذه الآيات من أيسر التفاسير للجزائري دون الحاجة للخوض كثيرا ... فالقرآن واضح وجلي ...

" ينكر تعالى على المؤمنين وهم في أيام شدة ولأواء ظنهم أنهم يدخلون الجنة بدون امتحان وابتلاء في النفس والمال بل وأن يصيبهم ما أصاب غيرهم من البأساء والضراء والزلزال وهو الاضطراب والقلق من الأهوال حتى يقول الرسول والمؤمنين معه استبطاء للنصر الذي وعدوا به : ﴿متى نصر الله ﴾؟

فيجيبهم ربهم تعالى بقوله : ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ .

أما الآية التي تليها قد نزلت ردا على سؤال عمرو بن الجموح لرسول الله ﷺ ماذا ينفق فبينت الآية أن ما ينفق هو المال وسائر الخيرات وأن الأحق بالإنفاق عليهم هم الوالدان والأقربون ، واليتامى والمساكين وأبناء السبيل ، وأعلمهم تعالى أن ما يفعله العبد من خير يعلمه الله تعالى ويجزي به فرغب بذلك في فعل الخير مطلقا .

أما الآية الثالثة : يخبر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بأنه فرض عليهم قتال المشركين والكافرين وهو يعلم أنه مكروه لهم بطبعهم لما فيه من الآلام والأتعاب وإضاعة المال والنفس ، وأخبرهم أن ما يكرهونه قد يكون خيرا وأن ما يحبونه قد يكون شرا ، ومن ذلك الجهاد فإنه مكروه لهم وهو خير لهم لما فيه من عزتهم ونصرتهم ونصرة دينهم مع حسن الثواب وعظم الأجر في الدار الآخرة كما أن ترك الجهاد محبوب لهم وهو شر لهم؛ لأنه يشجع عدوهم على قتالهم ....وانتهاك حرمات دينهم مع سوء الجزاء في الدار الآخرة ...

والله يعلم وهم لا يعلمون فيجب التسليم لله تعالى في أمره وشرعه مع حب ما أمر به وما شرعه واعتقاد أنه خير لا شر فيه ."

إذن زلزل الرسول والذين آمنوا معه وهم أهل إيمان وتقى ولكن الله يريد أن يختبرهم فما بالنا نحن نحسب أنفسنا مسلمين ونظن أن الله لن يختبرنا ويمحصنا لكي نستحق الجنة!!!

بالتأكيد لا أحد يحب القتل ولا سفك الدماء وهي أشياء ترهبها النفس البشرية وتنفر منها وتخشاها ولكن الله لا يأمرنا بشيء إلا كان لنا فيه الخير الكثير ... وهذا ليس لأن الإسلام دموي كما يروج الكفار وقد انتشر بحد السيف على حد زعمهم بل حرم الله الظلم والاعتداء بغير سبب وجعل الدافع للجهاد قتال رؤوس الكفر الذين يحولون بين الناس وبين نشر الدعوة وجعل الجهاد لحماية الأمة والحفاظ على أمن المسلمين وعلى أمن مقدساتهم وهم لا يقاتلون إلا الذين اعتدوا عليهم وعذبوهم ونكلوا بهم وقتلوهم وأفسدوا في الأرض ... فقد قال تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ سورة الحج

فالله تعالى شرع الجهاد للذين اعتدى عليهم الكفار والمشركين ويطمئننا تعالى بأنه قادر على نصرنا ... وهذا القتال لأن الناس طردوا من ديارهم بغير حق فقط لأنهم يقولوا ربنا الله ... ثم يقول تعالى لو لا قتال أهل الحق لأهل الباطل لانتصر أهل الباطل و لهدمت صوامع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ..

ثم أكد جل في علاه على أنه ينصر من ينصره وهو القوي العزيز الغالب والذي إن أراد أن ينصر أحدا لنصره ولو اجتمع عليه من بأقطار الأرض ، والذي يريد الله نصرته هو الذي يقاتل من أجله ومن أجل أن يعبد في الأرض ولا يعبد معه سواه ...

وهؤلاء يمكنهم الله في الأرض ويقيموا أحكامه وشرائعه من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ....

وما أن انتهيت من تفكيري وتحليلي حتى حاولت عبثا أن أنام فقد كان شوقي لوطني كبير جدا ورغبتي بأن أعرف الأخبار والأحوال أكبر ...

وبدأت أتساءل عن الذي يجري ودارت الكثير من الأسئلة في رأسي أصابتني بالدوار وكنت أبحث عن إجابات بلا جدوى ... فقررت العودة بأسرع وقت وكان القرار بالمغادرة ظهر الغد ...

استيقظت أم عمار على الموعد تماما والغريب أنها لم تكن تحتاج منبها مثلنا اليوم فهي تعرف الوقت جيدا وهذا ما لم أفهمه !!!

ويبدو أنها عرفت أني لم أنم فقالت : يبدو لي أنك مستيقظة حتى الآن ... هيا إلى الصلاة والدعاء يا ابنتي ...

شرعنا بالصلاة والدعاء وكانت تلهج بالدعاء وأنا أردد معها حتى صدح آذان الفجر ....

ذهبنا لأداء صلاة الفجر في المسجد والناس يزدحمون كما لو كانوا في السوق !!

كنت أشعر أنهم كانوا مستيقظين وينتظرون هذه اللحظة فيخرجون بسرعة كبيرة كما لو كانوا في سباق !!! فلا علامات كسل وخمول ظاهرة عليهم كبارا وصغارا رجالا ونساء !!!

كنت في غاية السعادة وأنا أراهم في هذه الحال ... كما أني متلهفة لأن أعرف ما الذي سيتلوه الإمام وما هي الرسالة التي سأفهمها من الآيات ...

بدأنا الصلاة فتلا الإمام : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ سورة الأحزاب

سبحان الله ... والله إنا لنرى من هؤلاء المؤمنين كثيرا في بلادنا فهم يصدقون الله ما عاهدوه وهو تحرير بلادهم ومقدساتهم ويكافحون في سبيل ذلك ويبذلون الكثير الكثير من أجل هذه الغاية النبيلة ... رحلوا واحدا تلو الآخر ...رحل القادة قبل الجنود ....

منذ رحيل الياسين المؤسس لهذه الحركة الربانية وهم يرحلون ويرتقون في كل معركة يجاهدون بالأموال والأنفس ولا يخشون في الله لومة لائم ومرورا بالرنتيسي وأحمد الجعبري ومازن فقها ونور الدين بركة والعياش وشحادة والجمالين والمقادمة والعطار وبرهوم وأبو هنود ومحمد عزيز رشدي وغيرهم الكثير وصولا لأحمد بحر وزكريا أبو معمر ومحمد حمادة وأحمد الغندور ووائل رجب وأيمن صيام ورأفت سليمان ووائل الزرد وأيمن نوفل وآخرين لا نعلمهم حسبهم الله يعلمهم ويجزيهم أحسن ما عملوا ...

لا يمكنني العد والإحصاء فهم كثر ... ارتقوا ونرجو من الله لهم القبول والفلاح وأن يجمعنا بهم تعالى في عليين ...

وآخرين لم يبدلوا وأولهم رئيس الحركة اليوم إسماعيل هنية الذي فقد الأبناء والأولاد وخالد مشعل و محمود الزهار وخليل الحية وصالح العاروري ويحيى السنوار والقائد العام لكتائب القسام محمد الضيف وغيرهم الكثير ولله الحمد حفظهم الله تعالى وأشهدهم النصر والصلاة في باحات الأقصى ...

حتى الذين ما زالوا ينتظرون قدموا من الأبناء والأزواج ما قدموا في سبيل الله وأجزم بأنهم يسألون الله الشهادة مع كل شهقة وزفرة ...فهؤلاء أثبتوا لنا صدقهم وإخلاصهم ... وهذه النهاية والخاتمة التي تليق بهم ...شهداء في سبيل الله .... أجمل خاتمة لعمر قضي في الجهاد والتضحية والبذل ... نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحدا ....

وبعد وصف هؤلاء الرجال وصدقهم يقول تعالى بعدها جزاء الصادقين أن يصدقهم الله وعده لهم وأن يرد الكافرين الذين يقاتلوهم بغيظهم ويدب في قلوبهم الرعب ويكفيهم القتال والله قوي عزيز ...

ثم النهاية التي يتمنون وهي أن يحرروا بلادهم ويرثوا أرضهم وديارهم وأموالهم وأراض لم يطئوها وربنا على كل شيء قدير ...

الأقصى من الأراضي التي لم تطأها أقدام كثير من القادة والجنود ولكنهم ما زالوا يقدمون له الكثير والكثير ... ويرقبون لحظات سجود الفتح فيه قريبا بإذن الله ...

كنت أحدث أم عمار بهذا الحديث اثناء عودتنا من المسجد ولا أخفي مدى فخري بهؤلاء وأنا أحدثها عنهم ... ولا أحد يعلم مدى فرحي بأني وأحبتي من الذين آمنوا بهم وبدعوتهم وبمبادئهم منذ أن كان سلاحهم الحجارة ومنذ أن كان السلاح قطعة واحدة تجوب فلسطين كلها ... كنا نؤمن أن هؤلاء هم من سيعيدون للأقصى طهره وسيعيدون للأمة عزها ... فكنا معهم رغم ما اعترانا من تضييقات وكنا معهم رغم الحرمان وتنغيص العيش ... فلم يخيبوا ظننا فيهم وأثمر إيماننا بهم عزا وسرورا وحبورا يوم السابع من أكتوبر المجيد ...

فقالت أم عمار وقد وصلنا البيت : يا لعزكم بهؤلاء !!!

فقلت : نعم والله إنهم يسطرون آيات العز والوفاء دائما بدمائهم وبعطائهم وأصبح لدينا بفضل الله أولا ثم بفضل الثلة المؤسسة جيشا تفخر به الأمة بأسرها ... جيشا

تجتمع كل قوى الطغيان في العالم ليطفئوا نورهم ونور الله في صدورهم ويأبى جل في علاه إلا ان يتم نوره ونصره لعباده الصادقين الصابرين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴿٨﴾﴾ سورة الصف

... فيقفون حائرين مصدومين من الذي يجري ...كيف أن بضعة رجال في بلاد محاصرة منذ سنين طويلة من اليهود وأعوانهم ...كيف استطاعوا أن يلحقوا الهزائم بالجيش الذي لا يقهر؟؟؟ !!!

جثا الكثيرون أمام هذه العظمة باكين يرجون من يحل لهم اللغز فلما عرفوا أنه الإسلام والإيمان بالله قرروا اعتناقه دون أي تأخير ....

ثم قالت أم عمار : بارك الله فيهم ورفع بالعز رايتهم ...

فقلت : آمين يا أمي آمين ...

ثم قلت : أماه هذا يومي الثالث هنا وأظنه الأخير ... لا أملُّ من الحديث معك ويؤلمني الرحيل ولكن هناك من ينتظرني يريد الجواب الشافي لتطمئن قلوبهم ... سعدت بك جدا... ولن أنساك ما حييت وبارك الله فيك على كل ما قدمت لي ابتداء من ابتسامتك الطيبة حين رأيتني وبحبات التمر تلك وحتى كل كلمة نطقت بها ....

لم أكن أريد أن أنظر إليها لكني التفت فإذا بها مطأطأة رأسها ودمعاتها تتساقط على الأرض ...

فقالت : لقد كنت لي ابنة لأيام ... أسمعتني كلمة أماه التي اشتقت لسماعها كثيرا ...ملئت بيتي وأعدت له الحياة ... أصبح فيه صوتين بدلا من صوت واحد مرهق متعب ....

واسيتني بينما كنت أواسي نفسي بنفسي وآيات ربي لوحدي .... ثم أجهشت بالبكاء وهي تقول : وداعا يا ابنتي وداعا ....

فقلت وقد تبلل وجهي بالدموع من كلماتها تلك : وستبقين أمي ومن رحلوا إخوتي ويا ليتني أستطيع البقاء يا أماه ولكني لا أستطيع ... لم أمل من حديثك وسأشتاق لكلماتك وابتسامتك الدافئة ... لن أضيع السحر بعد الآن ... فقد علمتني أنه لحظة صلة وقربى .. لن أسخط يا أماه .. بل سأرضى بقضاء الله وقدره ... سأعمل بوصاياك يا أمي ...

وارتميت في أحضانها وأنا أبكي فقبلتني وهي تقول : وأنا لن أنسى يا ابنتي وأنا لن أنسى ...

قبلت رأسها ويدها ... وبكينا ...

ثم قامت فقالت : الشمس أشرقت سأذهب لحلب الشاة وإحضار الحليب لكي نفطر ...

لم تكن قادرة على إخفاء دموعها التي كانت لا تستأذنها قبل الخروج من مقلتيها التي شعرت بأنهن لا زالتا قادرتين على العطاء رغم سنين طويلة من العمل كما هي أم عمار بالضبط ....

ذهبت معها وقلت : فلأقم بهذا أنا ...

ابتسمت وقالت : لا بل أنا ... لا زلت بصحة جيدة ...

قلت : لم يكن هذا قصدي ... أنا أرجو أن تعلميني لكي يضاف هذا إلى سجل ما علمتني إياه ....

أعطتني الإناء وقمت بالحلب ... وهي ترقبني بعين الأم الحانية التي لم يفقدها رحيل أبنائها منذ سنين طويلة ذلك الحنان الذي فطرت عليه ...

وعندما انتهيت قلت لتلك الشاة بصوت عال : أوصيك بأمي لا تزعجيها وأملأي إنائها فهي كريمة وطيبة وسيبقى بيتها مليئا بعابري السبيل فتكون هي مأوى لهم بعد الله ... فهمتي ؟!

ضحكت أم عمار وهي تنظر إلي ثم قالت : ها أنت تجيدين الحلب وحتى تجيدين الحديث إليها أيضا ...

فقلت : أظنها فهمتني فها هي تنظر إليك ....

ضحكنا معا ودخلنا البيت .... تناولت فطوري معها وهممت بالخروج ... لم تكن قدماي تعينانني على التحرك ... توقفت قليلا عند الباب ...وقلت في نفسي قد لا أعود إلى هنا مرة أخرى !!

ثم عدت بسرعة فإذا بأم عمار تبكي وتقول : استودعتك الله يا ابنتي أنت وأهل بلادك ...

وما أن رأتني حتى جاءت بسرعة فعانقتني وبكينا حتى ملنا البكاء ....

ثم قلت لها وصوتي بالكاد يخرج : إلى لقاء قريب يا أمااه .....

وخرجت في طريقي باحثة عن سمرة كما قال لي أبا هريرة .... وكنت من حين لآخر التفت إلى بيت أم عمار وإذا بها تقف على عتبه تلوح لي بيدها فأشاركها ما تفعل ثم أشيح بوجهي متناسية لكل ما قد يجعلني أعود إليها ...

لمحت محمد قادما من بعيد ... فتألمت جدا لا أريد أن أخبره بمغادرتي ..... سأشتاق لشقاوته وفضوله ...

عندما وصلني قال : السلام عليكم ... كيف حالك اليوم ؟

فرددت : وعليكم السلام ...بخير والحمد لله ....

فقال : أين ستذهبين اليوم ؟

قلت : إلى بيت سمرة رضي الله عنه ... أتعرفه ؟

فقال : كيف لي لا أعرفه ؟! وكيف لي أن لا أعرف أنك تبكي ؟! لم أنت حزينة ؟!

تفاجأت من سؤاله وقلت متجاهلة : حسنا ... ولكن ما رأيك أن تذهب لترعى مع أبناء عمك كي لا يعاقبوك مرة اخرى ؟!!

نظر إلي بحزن شديد ثم قال : ولم تريدين مني أن أذهب هل أزعجتك هل أنت حزينة بسببي ؟!!!

ما الذي فعلته لكي تبكي هكذا ؟!! إذا كنت لا ترغبين بمرافقتي فأنا سأذهب حالا وأدار وجهه وتقدم بضع خطوات ....

فالتفت إليه قائلة : لا ليس الأمر كذلك وأنا لست حزينة ولم تفعل أي شيء يزعجني وأحب أن تكون معي ولكن كل ما في الامر أني لا أريد أن تعاقب مرة أخرى ...

فقال : إذا كان الأمر كذلك فلا عليك لن أعاقب ..كما أني أحب حل المشكلات وأريد أن أعرف ماذا يقول لك الصحابة رضي الله عنهم....

سرنا معا والصمت قد خيم علينا لفترة طويلة ... والناس ترقبنا ...

اليوم كالأمس نشاط وحيوية كعادتهم الكل يعمل بنشاط وانشراح ... والكل يسعى ويبذل ...

الطريق كانت طويلة إلى حد كبير .... ولم نصل إلا بعد تعب شديد ...

قال محمد : هذا بيته ... سأذهب لأسأل عنه ....

سأل عنه فقال له : سآتي بعد قليل ...

جاء إلي راكضا وقال : سيأتي الآن ومن لطف الله بنا أنه لم يذهب ليرعى الأغنام في مكان بعيد كما كل يوم ... لكنا انتظرنا حتى غروب الشمس ...

فقلت : إنه لطف الله ... فلقد تعبت من الطريق إلى هنا ...

جاء سمرة ثم قال : السلام عليكم ورحمة الله ..

فرددنا بالسلام ..

ثم قال : حدثني أصحابي عن أحوالكم ... كان الله لكم عونا وناصرا ...

فقلت ومحمد : آمين آمين ...

ثم قال : ليس لكم سوى الله فاسألوه المدد وحده واعملوا بما يأمر به فقد قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿٤٥﴾﴾ سورة الأنفال

وافرحوا بشهدائكم واحمدوا الله على الاصطفاء والاختيار للبذل لهذا الدين العظيم ولهذه الأمة ... فالله فضلكم على كثير من خلقه وهذا خير عظيم تغبطون عليه ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿١٣٩﴾إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴿١٤٠﴾﴾ سورة آل عمران

وكلما تألمتم تذكروا أن أعدائكم أيضا يتألمون وألمكم جزاءه يوم القيامة الجنة وألمهم يوم القيامة ألم أشد وعذاب عظيم ...

ثم قال: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، قَالاَ: أَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ "

فأحسن دار في الجنة على حسنها وجمالها هي دار الشهداء .... طوبى للشهداء وطوبى لمن لقي ربه شهيدا ...

فقلت والفرحة تغمرني وتستفز دموعي : وطوبى لمن يرحل حافظا لكتاب الله بين ضلوعه مجاهدا مثخنا في العدو الجراح شهيدا ساجدا ....

فقال : لقد جمع له الخير الكثير وقد نال الرجاء الوحيد للمجاهدين في سبيل الله فما أحسن وأجمل هذه الخاتمة !!!

رزقنا وإياكم حسن الخاتمة بإذن الله ...

ثم قال : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ سورة الأحزاب

فقلت : اللهم آمين ... لقد تشبهوا بكم وبحبيبنا ﷺ في كل التفاصيل فقيل عنهم متخلفين !!!

عملوا بما جاء في القرآن الكريم وحفظوه عن ظهر قلب فقيل عنهم رجعيين !!!

لم يرضخوا لقوى الكفر ورفضوا الذل ... فقيل لا يعقلون !!!

تخلى الجميع عن الأقصى أما هم فجعلوه في حدقات العيون وعملوا على إعادة طهره فقيل إرهابيون كيف لهم أن يجرؤوا على الوقوف في وجه أمريكا وإسرائيل ... إنهم حقا لا يعقلون !!!

قيل في حقهم الكثير ولكنهم لم يكترثوا وواصلوا الطريق للإيفاء بوعد وعهد بينهم وبين الله رغم ظلم ذوي القربى وحصارهم وتنكيلهم وظلم اليهود والكفار وتعذيبهم ...

لم يتخلوا يوما عن شبر من أرضهم ولا عن حجر في الأقصى ...وإنا على ذلك من الشاهدين ..

فقال : ﴿... فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ سورة المائدة

يكفيهم حب الله واصطفاءه لهم من بين الخلق أجمعين ....

جزيت خيرا ... وبارك الله فيك ...

وقبل أن أغادر فإذا بي أرى مجموعة من الناس قادمين من بعيد !!!

فقال سمرة : عساه خير !!!

وما أن اقتربوا حتى لمحت بينهم أم عمار وأم مجد !!!

بقينا واقفين حتى وصلوا وما أن وصلوا حتى عرفتهم إنهم كل من أخبرتهم بقصتي !!!

فقالت أم عمار : أيها الناس هذه من بلاد مباركة طيبة أهلها مجاهدين في سبيل الله ينافحون عن الأقصى ومقدسات المسلمين ... خذلهم المسلمين وها هم وحدهم يقاتلون وسبيل العزة يبغون ... فاسألوا الله لهم الفتح المبين ...

فقال الجميع بصوت واحد : اللهم آمين ...

ثم تقدم عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه فرفع أكفه ثم قال :

اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم

اللهم إنهم عبادك يا الله انصرهم على من بغى عليهم ... انصرهم على من ظلمهم

اللهم نصرك الذي وعدت ... اللهم استنصروك فانصرهم ... يا رب خذلهم الناس فانصرهم ... اللهم اغنهم بفضلك عمن سواك ... اللهم لا تحملهم ما لا طاقة لهم به واعف عنهم وارحمهم أنت مولانا ومولاهم فانصرنا على القوم الكافرين ... اللهم ارحم شهدائهم واجعل الفردوس دارهم ، اللهم اشف جرحاهم واجعل العافية لباسهم ...اللهم حرر أسراهم واجعل الحرية مصيرهم ... اللهم اربط على قلوبهم ... اللهم أفرغ عليهم صبرا ... وثبت أقدامهم ..وانصرهم يا رب العالمين .... يا غياث المسغيثين أغثهم .... يا رب لا تشمت بهم عدوا ولا حاسدا ... اللهم كن للثكالى والأيتام والمكلومين والمجاهدين يا الله ... اللهم ليس لهم غيرك ... يا رب نصروك فانصرهم ... يا رب نصروا دعوتك فانصرهم ... يا رب عجل لهم بالنصر المبين ... وارزقهم صلاة في المسجد الأقصى مهللين مكبرين ... وليس ذلك عليك بعزيز .... اللهم من أراد بهم سوءا فاخذله ومن أراد بهم خيرا فوفقه إلى كل خير يا الله ... اللهم من يكيد لهم فكده ... ورد كيده في نحره ... اللهم إنهم أهل القرآن والمساجد والذكر فكن لهم في الضراء كما كنت معهم في السراء ... اللهم زدهم عزا وارتقاء ونصرا وتثبيتا .... اللهم زدهم ولا تنقصهم وأعطهم ولا تحرمهم .... اللهم أيدهم بجنود من عندك ... اللهم نكس بهم راية عدوك ... اللهم أذل اليهود وأتباعهم على أيديهم .... اللهم جبرا لكسرهم ... وتثبيتا لقلوبهم ... ورحمة بهم ... اللهم قد اشتد عليهم البلاء فارحمهم والطف بهم ... واشتد عليهم البرد فأدفئهم ...واشتد عليهم الجوع فأطعمهم ... واشتد عليهم الظمأ فاروهم .... اللهم بردا وسلاما ... اللهم بردا وسلاما .. اللهم بردا وسلاما ...آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين ...

كل هذا وأنا بين هؤلاء الطيبين الذين أشعر بدعواتهم تخرج من أعماق قلوبهم وتنطلق إلى عنان السماء ... الجميع يدعو ويبكي ويسأل النصر والتمكين ...

شعرت حينها بفرح كبير فجاءت أم عمار واحتضنتني وهي تقول : لكم الله يا ابنتي ... كونوا مع الله يكن معكم ... كونوا لله يكن لكم ... انصروه ينصركم ...ثم تلت قوله تعالى وهي تبكي : ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ سورة آل عمران

ثم جاءت أم محمد فسلمت عليها وقالت وهي تمسح دمعاتها : لم نلتق إلا البارحة عند أم عمار ولكني شعرت معك بسرور كبير ... أنتم من تمثلونا هناك في زمانكم .... استأنسوا بنا عندما تتركوا وحدكم ... لا تيأسوا من روح الله ... يسروا ولا تعسروا ... وبشروا ولا تنفروا .... كونوا جسدا واحدا ... كونوا لبعض كما قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ سورة الصف

قلت : بإذن الله لن نخيب ظنكم ... أوصيك بمحمد ..

ثم جاءت الفتاة التي كانت تقرأ من سورة الحشر قائلة : حفظت سورة الحشر كاملة ووجدت آية قد تصف ما ترونه الآن ثم تلت قوله تعالى : ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ سورة الحشر

قلت : والله إنه كذلك يرهبون مجاهدينا بشكل لا يصدق وإنا لنحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ويحملون لبعضهم العداوة والبغضاء ومناكفات ومشاكل وشتائم على العلن وما خفي أعظم .... وأسأل الله الزيادة ...

فقالت : اللهم فلّ حدهم وفرق شملهم يا الله ...

فقلت : آمين ...

قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه -: بلغي قومك منا السلام ... ثم تلا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ سورة البقرة

ثم قال أبي موسى – رضي الله عنه - : ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ سورة التوبة

فإذا بأبي هريرة -رضي الله عنه – يتلو : ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾سورة التوبة

فقال أنس بن مالك - رضي الله عنه- : بشري المجاهدين بما قال ﷺ :: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَدْوَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِي سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»

ثم تلا عبد الله بن عمر – رضي الله عنه - قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾سورة الأعراف

فإذا بعبد الرحمن بن جبر – رضي الله عنه - يتلو قوله تعالى : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾سورة النور

ثم تلا زيد بن خالد – رضي الله عنه - قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَـٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾سورة الأنفال

ثم تلا البراء - رضي الله عنه- : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴿١٢﴾قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴿١٣﴾﴾سورة آل عمران

فتلا سمرة – رضي الله عنه - : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿١٢٣﴾إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴿١٢٤﴾بَلَىٰ ۚ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴿١٢٥﴾وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴿١٢٦﴾لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴿١٢٧﴾﴾سورة آل عمران

ثم جاء محمد وقال لي : هل ستعودين الآن ؟!

قلت وأنا أمسح على رأسه : نعم سأعود ... وسأشتاق لكم كثيرا ...

فقال والحزن قد ظهرت أماراته على وجهه المشرق : إذن لهذا كنت تبكين قبل قليل ...

ولهذا كنت حزينة ...

قلت : نعم ، ولولا أن أحبتي هناك ينتظروني وهم في وضع صعب لبقيت معكم هنا ولما غادرت ...

فقال : أخبري أطفال بلادك أني أحبهم كثيرا وأنا ادعو لهم دائما في صلاتي وأخبريهم بأنا سنلعب معا كثيرا في الجنة فلا يحزنوا ولا يبكوا ....وعلميهم هذه الآية التي علمتني إياها أمي ثم تلا : ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ(٥١)﴾سورة التوبة

فالله هو الذي كتب لنا كل الذي سيحصل وكل هذا خير لنا ولن نخاف من أحد أبدا فلن يستطيع أن يفعل غير الذي جعله الله في قدرنا ونحن متوكلون على الله دائما في كل صغيرة وكبيرة ...

فقلت :ما شاء الله يا محمد .... حسنا أعدك أني سأخبرهم بذلك ... وهم سيحبونك كثيرا عندما أحدثهم عنك ...

ثم قال : وأخبري حكامكم أن يتقوا الله في المسلمين وأن يكفوا عن أعمالهم السخيفة بحق شعوبهم .... وأن يتركوا أمريكا الأنانية ويقفوا مع المسلمين ويدافعوا عنهم ...

قلت : سأحاول أن أفعل ...

ثم قال : وأخبري مجاهديكم هناك أني أحبهم جدا فهم مثل أبي الذي استشهد وأنا صغير ولكني سأراهم مع أبي في الجنة يوم القيامة بإذن الله هم وكل الذين نحبهم وأخبريهم أن الله سينصرهم وسيفرحون كثيرا بتحقق ما وعدهم الله به وسيصلون في الأقصى قريبا ...

فقلت : وهم يحبوك ويحبوا والدك وكل الشهداء وسنجتمع جميعا في الجنة هناك إن شاء الله ...

قال : أما أنت ... فسامحيني إن أزعجتك أو ضايقتك في لحظة ما ....

قلت :لا لم تفعل شيئا سيئا لأسامحك عليه ... بل على العكس تماما كنت تسعدني كثيرا بمرحك ...

ثم قال : عندما تنتصرون وتذهبين للصلاة في الأقصى لا تنسيني من الدعاء وأخبري الأقصى أن هناك طفل اسمه محمد كان يتمنى أن يكون كبيرا ليحمل السلاح ويقتل من يؤذيه ....

فقلت وقلبي يكاد يطير فرحا وحزنا على الفراق في نفس الوقت : لك هذا يا محمد ...لك هذا... استودعتكم الله ..... وداعا لن أنساكم..... نلتقي في الجنان بإذن الله ...

ومضيت أسير لا أعرف أين الوجهة .... وأنا أبكي لأني فارقت هؤلاء وفرحا بما زودوني به وشوقا إلى أحبتي وإلى بلادي .... ترى كيف حالهم الآن ؟!!!!!

وهذا هو حلمي يا أخي ... وهذا ما رأيت ....

فقال أما أنا فهذا ما رأيت حين استيقظت من غيبوبتك وأنت تقولين : وداعا لن أنساكم .. وداعا لن أنساكم ... استودعكم الله ...

ركض الجميع نحوك ... الأطباء يهرعون إلى السرير ويتفقدون الأجهزة ... ركضت نحو سريرك وأمسكت بيدك التي كانت مغطاة بالأسلاك وأنا أبكي و أقول : ما بالك يا إلهام ؟!! هل أنت بخير؟!

أرجوك ابقي معي لا تتركيني كما تركني والداي !!! لا ترحلي الآن ....

أرجوك يا رب احفظها فلم يبق لي سواها ....

لقد خفت كثيرا من أن أفقدك !!!

نظرت إلي وأنت تبتسمين ثم قلت : لا تبكي يا أخي ... مجرد حلم ... كان حلما فقط ...

هززت رأسي حاثا إياك على إكمال الحديث وقد كنت منذ أيام في غيبوبة بعد قصف المنزل واستشهاد والدينا وأخوتنا ورحيلهم فكنت خائف جدا من أن ترحلي أنت أيضا ..

طوال تلك الأيام كنت لا تتحدثين ولا تتحركين والنفس بطيء جدا ... فكان حديثك محطم جبال يأس أثقلت كاهلي لأيام ....

فقلت لي ووجهك مشرق ودموعك تسيل : حلم جميل ..... حلم رائع .... بشريات يا أخي بشريات ....وبشر المؤمنين ... وبشر المؤمنين ... وإنها والله لبشريات تشفي الصدر وتربط على القلب وتشد الأزر .....

كان الأخوين يتحدثان بينما كان صالح يدفع بكرسي متحرك تجلس عليها أخته بعد إصابتها التي ألزمتها الكرسي ....

كانا يتجولان في خارج المشفى الذي يمكثون فيه كغيرهم من النازحين ....

خرجا ليتنفسا الصعداء بين البيوت المدمرة!!!

كانا يمرران أنظارهما في المكان الذي فقد معالمه وهم يشاهدون الشهداء يأتون تلو الشهداء ... والجرحى تلو الجرحى .... والنازحين تلو النازحين ....

فأنشدت إلهام تقول :

أغزتنا الأبية ما أقول **** لشعب ذاق ويلات الحروب ؟!!!

أغزتنا الأبية بما أبوح **** من قهر قلب عليكم مفطور ؟!!

أغزتنا الأبية كم أنوح **** على طفل تمزقه الوحوش !!!!

أغزتنا الحبيبة كيف أغفو **** وصوت نحيب نسوتك يفور !!!

أغزتنا العزيزة كيف أمضي**** متجاهل الصرخات والدموع !!!

أغرتنا الأبية أين ألوذ ****من آهات طفلك المقهور ؟!!!

أغزتنا الحبيبة بما عسايا**** أجود لهذه الأم الرؤوم ؟!!

أغزتنا الحبيبة كيف أحيا**** والموت في أرجائك يطوف ؟!!

أغزتنا الأبية كم بكينا ****على صور تصول هنا وتجول ؟!!

توثق تدميرا وحربا طاحنة **** قضى بها أطفالك وشيوخ !!!

الأم تصرخ بحرقة أطفاليا ****هنا واحد وآخر مفقود !!!!

ويحي رضيعي بالدماء غارقا**** وتفحم جسم بنيتي المبتور !!!!!

والأب يحتضن كيسا أسودا**** به أشلاء طفله المغدور !!!

رضيع ينشج باكيا مستصرخا**** مزلزلا ببكاءه الحضور !!!!

بنت تلملم دمعاتها الحارقة**** عند السؤال عن الذي يدور !!!

وأخرى تفاجئ سائلا متألما **** بحمدها لربنا الودود !!!

وفتى يردد فدا الأقصى أبوايا **** مع إخوتي وبيتنا المردوم !!!!

وينشد الأطفال أعذب لحنا**** لن نخشى جيشا ممزق مهزوم !!

فشعبنا بكتاب الله مستعصما ****ولا يضيع من بربه يلوذ !!!

كهل أجهش بالبكا مستنصرا**** بحكام العروبة والجيوش !!!

كم مرت صدحت حناجرنا**** يكفيكم جبنا وفجور !!!

ما تقولوا لربكم وااعجباه **** ألا تخشون موتا أم أنتم خلود !!!

خذلانكم مخز فواأسفاه ****على عرب تبيعنا لكفور !!!

تساندهم وتدعمهم مجتهدا**** بأن يقضوا على كل الشرور !!!

أوما علمت نهاية الخائنا**** لدينه ولشعبه المكلوم !!!

سيذله المولى في أولاهما ****ويسقى العذاب يوم الرجوع !!!

إياك فاحذر دعوة صادقة ****ترفع بقهر لعلام الغيوب !!

لن تنفعك أحزابهم حينها ****وعند الله تجتمع الخصوم !!!

يجيبه آخر متأوها ****لا تطلب العز من المذلول !!!

إنا بربنا وحده نستنجدا**** فهو المعين لعبده المكسور !!

هو معيننا وناصرنا ****فاثبت أُخَيَّ فوعده محفوظ !!

لن نرحل ما حيينا من أرضنا**** خبتم وخاب مرادكم المشؤوم !!!

شعب تحلى بالثبات تصبرا**** لن يرضى ذلا أبدا و خضوع !!!

يسعى بعزم كي يستعيدا ****أرض له مسلوبة لعقود !!

أغزتنا الحبيبة كم سعدنا ****برؤيتنا لجندنا الأسود !!

تمضي تقهقر جيشا طاغيا**** بكل عز بسيفها المسلول !!

لا تخشى موتا كلا وربنا ****متجاوزين حصارهم وحدود !!

وبوعد الله تمضي جندنا**** لهم النصر المبين بلا شكوك !!

ترمي سواعدهم قذائف نصرنا**** فيذل بها المتكبر الحقود !!

تشفي قذائفكم قلوبا مؤمنة**** تدعوا لقاذفها بكل حبور !!!

تقتلون وتأسرون أعدائنا ****تسعوا بجد لنصرة المكلوم !!

أسرانا ها قد جاءكم أبطالنا ****لفك القيد وتبييض السجون !!!

وباحات أقصانا الحبيب مستبشرة **** بقرب الطهر من دنس اليهود !!!

أسراكم ومسرى الحبيب محمدا**** يرقب درب جندك المنصور !!!

وضفتنا الأبية مستنفرة**** ترد قطعان اليهود إلى الجحور !!

أغزتنا الحبيبة قد أريتنا**** قهر الذي يقال لنا لا يقهر !!

أغزتنا الحبيبة بشراكيا**** بجنة وبنصرك المحتوم !!

أغزتنا وعزتنا لك دائما ****مجد ونصر بجبينك محفور !!

سطرته بدمائك يا فخرنا**** بك غزتنا مزلزلة اليهود !!

امضي أيا كتائب عزنا ****وعهدا بأن نصون العهود !!

إن شئتم كنا لكم سهاما**** أو نكون بنادقا ودروع !!!

سيروا إلى المسرى فدعائنا ****لكم في السجود وفي الركوع !!

دمتي بعزة أغزتنا ****والعار للمتآمر الحقود !!

كوني بحفظ الله دائما ****والله أسأل حفظك في سجودي !!

وأعاد صالح معها : والله أسأل حفظك في سجودي ....

ثم صاح بأعلى صوته : يا أهل غزة ... يا أهل فلسطين ... لا تحزنوا إن الله معنا .... لا تيأسوا إن الله معنا ... لا تعجزوا إن الله معنا ... لا تهنوا إن الله معنا ... جاهدوا إن الله معنا .... قاتلوا إن الله معنا ... أثخنوا إن الله معنا ... اصبروا إن الله معنا ... إن الله معنا ... إن الله معنا ... الله مولانا وهو خير الناصرين .. أيها الناس ما ظنكم بشعب الله يدافع عنه ؟! وما ظنكم بجيش الله معينه ؟!! وما ظنكم بجيش يقوده شيطان على الطرف الآخر ؟! هل سينتصر ؟! كلا وربنا لن ينتصر بل سيكون حالهم حين يروا جندنا كما حالهم من قبل : ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ سورة الأنفال ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ سورة يوسف

انتهت الحكاية ولن تنتهي حكايات فلسطين وغزة أبدا ...

انتهت القصة ... ومعاناة غزة ستنتهي يوما ما ....

نهاية التضحيات لن تكون سوى عزا وسرورا ....

ونهاية الاحتلال ستكون أجمل نهاية ....

لقصة عنوانها الذل والوهن يبددان بالثبات والصبر ..

وأبطالها أهل فلسطين جميعا من أول طفل حتى آخر طفل ...

أما العقدة فهي لحظة دخولهم إلى فلسطين في ١٩٤٨..

والصراع فيها بدأ منذ تلك اللحظة ...

الزمن على امتداد الثواني منذ النكبة حتى الآن ...

المكان فلسطين ... المكان بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ...

والنهاية أجمل نهاية لأعتى وأذل قوى الشر في العالم ...

والنهاية نصر وفتح وصلاة في باحات الأقصى وما أجملها من نهاية وما أرقاها من نهاية ...

سيكون السجود في باحاته نهاية فصل مُرّ من فصول الحكاية وبداية فصل عز لأمتنا إن شاء الله نقولها تحقيقا لا تعليقا ....

انتظروا تلك اللحظات فهي قريبة جدا أكثر مما نتصور ....

كلمات خالدة ...

" المؤمنون يستمدون زادهم من ربهم أولاً ، و من دينهم ثانيا ، و من دعم أهلهم و إخوانهم ثالثاً و ينتظرون النصر "

" في ظل عدم توازن القوى لا يمكن للعمل السياسي أن يسير، عندما تحتل موازين الصراع لا بد من وجود العمل العسكري الذي يضر بمصالح العدو ويجعله يركع لأن الله تعالى قال (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) (الأنفال ٦١) ، وقال أيضا (ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم) (محمد ٣٥)لذا المسار السياسي وحده لا يمكن أن يكون حلا كافياً في ظل عدم توافق القوى بين الشعب الفلسطيني والصهيوني الذي تدعمه أمريكا، لذا يتوجب وجود قوة فلسطينية مرافقة قوية ترغم العدو على التنازل ، لم يوجد شعب محتل في العالم كانت قدرته بقدرة الجيوش المحتلة ، لكن الشعوب لأنها صاحبة حق فبإمكانياتها البسيطة تستنزف العدو وتجعله يركع لمطالبها ولا يستطيع أن يدير حرباً طويلة الأمد وبالتالي سيتنازل"

" إن التهديدات الإسرائيلية بتصفية قياديي حماس (تعبير عن حالة الفشل والإفلاس التي تعيشها إسرائيل) فالإسرائيليون ليسوا بحاجة إلى مبرر لارتكاب المجازر ولا يحتاجون إلى مبررات للاستمرار في القتل والتدمير فالعدو الإسرائيلي لا يعيش إلا على القتل والدماء "

" العدو يعتبرنا كلنا إرهابيين ولو قدر سيغتال الشعب الفلسطيني كاملا فهو يريد أرضاً بلا شعب، فلا يهمنا أي تصنيف . في التاريخ الإسلامي كانوا يقولون عن الرسول صلى الله عليه وسلم إنه كاذب وساحر فهل كانت حقا فيه هذه الصفات؟ لكنه صبر وتحمل وجاهد وفي النهاية انتصر الإسلام. ونحن نحمل راية الحق ، فنحن أصدق الناس في العالم ويهمنا السلام فأنا لا أحارب اليهودي لأنه يهودي أو لأنه يعيش في فلسطين ففي مصر يعيش اليهود والنصارى مع المسلمين ولم يحاربوهم، لكن لو أخي أخذ بيتي سأقاتله فأنا أقاتله من أجل حقي الذي أخذه مني وليس لأنه يهودي ففي الأصل نحن واليهود أبناء عم فإسحاق أخو إسماعيل عليهما السلام، لذا فأنا أقاتل اليهودي من أجل استرداد حقي وليس لأنه يهودي "

" تأكدوا يا أبناء شعبنا أننا نسير لتحقيق المصلحة الوطنية لكم ، فإذا كانت المصلحة في إعطاء هدنة فسنعطي هدنة : وإذا كانت المصلحة في الاستمرار في طريق المقاومة فسنكمل مشوارنا "

" لقد أثبت شعبنا علي مدار التاريخ أنه الأقوى شكيمة والأصلب إرادة بين شعوب العالم قاطبة ، ولديه من الطاقات والثوابت الإيمانية ما يؤهله لخوض معركة طويلة تستمر حقبة من الزمان .. وأن التضحيات الجسام هي التي صقلت فيه حب الشهادة وزادت في نفوس أبنائه جرأة المقاومة والدفاع عن شرف الأمة ومقدساتها "

" بالجهاد عزنا وبالقتال عزنا وبالاستشهاد عزنا، أما الاستسلام فهو طريق الذل والهوان."

" أنا أحب الحياة جدا، لكنني أرفض الذل والخضوع والعدوان على نفسي."

" إن من مظاهر وعلامات السلامة أن تشعر الأمة بقلق إزاء قضية فلسطين، قضية الأمة، ولكن المقاومة مستمرة، وفي كل يوم هناك عمليات وشهداء وتضحيات. أما قضية السور فهي هامشية ولا يرفع منها إلا الإعلام الغربي الذي وقف ضد هذا السور علما أنه يقف إلى جانب العدو الصهيوني ويدافع عنه ويعطيه حق الهجوم على شعبنا مع بقاء الاحتلال، وهذه من تناقضات الغرب والحرية التي ينادون بها. أما نحن فقضيتنا قضية تحرير، قضية شعب وقضية وطن، وإن شاء الله تبقى الأمة كلها خلف هذه القضية حتى التحرير؛ لأن الأقصى في خطر ومحاولة هدمه وبناء الهيكل مستمرة في كل يوم، فلا بد للأمة أن تستيقظ وتؤدي دورها في دعم المقاومة والجهاد حتى النصر والتحرير بإذن الله تعالى "

" نحن في مركز قوة وليس في مركز ضعف .. والعدو هو الذي انهار فالجيش (الإسرائيلي) لا يريد أن يقاتل في الأراضي المحتلة ومواطنوهم فارُّون إلى الخارج، ورؤوس

الأموال تهرب والاقتصاد الصهيوني ينهار . إن (إسرائيل) تشهد وضعا منهارا بينما نحن في وضع قوي جدا .."

" نحن لا نريد فقط أن يوقف الاحتلال عدوانه على شعبنا : نعم نحن نريد ذلك ، لكننا نريد أيضا أن يزول الاحتلال تماما عن أرضنا وأن تزال المستوطنات وأن يطلق سراح الأسرى وأن يفك الحصار عن الرئيس عرفات ، وكل هذا ضمن جدول زمني إذا التزم به العدو نلتزم نحن من جانبنا .. نحن لسنا عشاق قتل أو سفاكي دماء إذا كان بالإمكان تحرير أرضنا دون أن تراق الدماء لماذا لا نفعل .. ؟ "

" نحن طلاب شهادة لسنا نحرص على هذه الحياة ... هذه الحياة تافهة رخيصة .. نحن نسعى للحياة الأبدية"

الشيخ المؤسس الشهيد : أحمد ياسين – رحمه الله -

خاتمة ...

أختم بتعليق سابق **للشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي** (فك الله قيده وإخوته جميعا) وذلك بتاريخ (١٣٢٣/١/٢١هـ) على أحداث الانتفاضة بعنوان (***نداء لنصرة الإخوة الفلسطينيين***) كملخص لما سلف والوارد في كتاب(رسائل الشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي) لما رأيت من فائدة ذكره وكتابته رغم الفارق الكبير بين الحدثين (الانتفاضة والطوفان) :

" الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق وبعد :-

فإبراء للذمة وأداء للحق الواجب بخصوص ما يعانيه شعبنا المسلم المرابط في فلسطين المحتلة أذكر بما يلي :

- **مكانة الجهاد في سبيل الله :** إن جهاد إخوتنا في فلسطين المحتلة هو جهاد عظيم في سبيل الله تعالى للدفاع عن مقدسات المسلمين ورفع الظلم عن أنفسهم ولاسترداد أرضهم وأرض المسلمين ، يحتسبون ما أصابهم من ألم أو من هم أو نصب ، ولا أعلم اليوم جهادا في سبيل الله هو أفضل من الجهاد معهم لمن قدر عليه بمال أو نفس أو دعاء .

ولذا ، فإن نجدتهم حق واجب ، ونصرهم فرض لازم على جميع المسلمين ؛ بمقتضى نصوص الكتاب والسنة ، قال – تعالى - : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ..﴿١٠﴾﴾ سورة الحجرات وقال : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ ﴿٧١﴾﴾ سورة التوبة وقال : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴿٧٥﴾﴾سورة النساء

وقال – ﷺ - : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يُسْلِمُه "

- **فضل الجهاد بالمال :** أذكر نفسي وجميع إخواني بعموم الآيات والأحاديث في فضائل الجهاد والرباط والشهادة في سبيل الله تعالى ، وهي معلومة ولله الحمد ، ومن ذلك فضل الجهاد بالمال ، إنه من أعظم القربات وأفضل أنواع الجهاد في كل حين ، فكيف وقد حيل بين المسلمين والجهاد بأنفسهم في

فلسطين ؟! ولعظم مكانة الجهاد بالمال قدمه تعالى في أكثر من موضع في القرآن الكريم على الجهاد بالنفس ؛ كقوله – تعالى - : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ...﴿٤١﴾﴾ سورة التوبة ، وقوله : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ(٢٠)﴾سورة التوبة

وقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴿١٠﴾تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴿١١﴾ ﴾ سورة الصف

وقوله : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴿١٥﴾ ﴾ سورة الحجرات

إن خذلانهم أو التهاون في مناصرتهم ورفع الظلم والاضطهاد عنهم ذنب عظيم، وتضييع لفرصة كبيرة في تحطيم آمال الصهيونية ، وتعريض المسلمين والعرب جميعا لخطر مُدَلهِمّ ، فإن لم يغتنم المسلمون اليوم الفرصة فسيندمون على فواتها إلى أمد الله أعلم به ، وإن تغييب الأمة عن ذلك وإشغالها باللهو واللعب يبلغ درجة الإجرام في حقها وحق قضاياها .

- **الحث على الإنفاق في سبيل الله :** إن التعاون على نصرتهم بكل أنواع النصرة الممكنة – مع كونه واجبا على المسلمين كما تقدم ، وكونه من الجهاد في سبيل الله – هو أيضا دخولا أوليا تحت قوله - تعالى – : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴿٢﴾ ﴾ سورة المائدة ولهذا ؛ فإن حض المسلمين على التبرع بسخاء لإخوانهم هو عمل صالح " ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله " ، وفي ذلك اقتداء بالنبي – ﷺ – حين كان يحض أصحابه على الإنفاق في سبيل الله – تعالى – وتجهيز الجيوش ، كما حصل في غزوة تبوك في جيش العسرة المشهورة قصته في الصحيحين وغيرهما ، وفي كتب السيرة .

إن إيصال المعونات المالية والمادية من سلاح وغيره داخل – إن شاء الله تعالى- في قوله ﷺ : " من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا " متفق عليه

كما أن الاهتمام بإخواننا الفلسطينيين من سكان المخيمات في دول الجوار مهم للغاية ، فيجب على الدعاة إلى الله إعطاء ذلك حقه .

- **تقديم الإنفاق في سبيل الله :** ينبغي في الإنفاق في سبيل الله أن يقدم الأهم بحسب ما بينته السنة ، ومن ذلك : تقديم نفقة الجهاد في سبيل الله في هذا الموطن الواجب على نفقة حج التطوع وغيره من التطوعات ؛ كبناء المساجد وحفر الآبار ؛ لقوله ﷺ وقد سئل : " أي العمل أفضل ؟ فقال : إيمان بالله ورسوله ، قيل: ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم أي ؟ قال :حج مبرور " متفق عليه .
- **النصر مع الصبر :** أبشر إخواني المسلمين في أرض فلسطين وغيرها بأن مع العسر يسرا ، وأن النصر مع الصبر ، وان موقف العدو الصهيوني اليوم هو أكثر ما يكون حرجا وشدة ؛ فقد انحصرت الخيارات أمامه في خيار واحد ، وهو الاستمرار في العنف والإبادة ؛ إن تراجع عنه فهو إقرار بالهزيمة وبداية للانقسام ، وإن استمر فيه فسيقع في الهاوية - بإذن الله – ومن هنا لا يجوز إنقاذ موقفه بإيقاف الانتفاضة مهما كانت التضحيات .

وإن التطور النوعي في أساليب الجهاد – مثل : اقتحام المستوطنات ، ومباغتة القواعد العسكرية ، وصناعة الأسلحة وتطويرها – وكذلك الدقة والإحكام وعمق الاختراق في العمليات الاستشهادية ، ليؤكد ذلك .

- **حقيقة المجتمع الصهيوني :** لا ينبغي أن تحول متابعة الأحداث اليومية بيننا وبين الاطلاع على حقيقة المجتمع الصهيوني من الداخل .
إنه مجتمع يخيم عليه الرعب ، وتسيطر عليه الشحناء ، وعند كل عملية استشهادية يزداد فقد الثقة بالمستقبل لديه ، ويتدهور اقتصاده باستمرار ، وقد وصلت الحال إلى احتجاج طائفة من الجيش على السفاح شارون وحكومته (وهو حاليا نتنياهو وحكومته) وهو ما يعد سابقة خطيرة ، كما أنه يفقد التعاطف الخارجي عند كل عملية اجتياح ، ويستطيع أي مراقب أن يقول : إنه يعيش عزلة عالمية لم يشدها من قبل باستثناء الصهاينة في حكومة أمريكا الطاغية الظالمة ، ومن هنا وجبت الثقة في نصر الله ، وحرّمت محاولة إخراجه من عزلته وإنقاذه من مأزقه .
- **نتائج اللاهثين وراء سراب السلام** : كشفت الأحداث الأخيرة أن الذين يلهثون وراء سراب السلام مع هذا العدو منذ معسكر داود لم يجنوا سوى الخيبة والخسارة ؛ فها نحن أولاءِ نرى ماذا جنى جنود الأجهزة الأمنية للسلطة الذين طالما لاحقوا المجاهدين ، وترصدوا لهم ودلّوا عليهم جنود يهود ، بل قتلوا وسلّموا بعضهم للعدو ، فهل يعتبرون ويتوبون ؟ وهل يتعظ بهم

الآخرون؟ وهنا نسجل تقديرنا وشكرنا لكتائب الأقصى وللشرفاء من منظمة التحرير الذين انحازوا إلى خيار المقاومة ، وشاركوا الإسلاميين شرف القتال ، ونرجو أن يكون ذلك مقدمة لتوحد الشعب الفلسطيني بكل فصائله تحت راية الإسلام والجهاد وإقامة الحكم الإسلامي على أرضه المباركة .

- **الجهاد هو الحل** : إن التطبيع مع عدو طبيعته الغدر والخيانة والتملص والمماطلة – كما يشهد بذلك كتاب الله والسلوك التاريخي الثابت لليهود – هو قبضٌ للريح وجَمْعٌ بين المتناقضات فوق كونه خطرا عظيما على العقيدة والمقدسات والقيم والأخلاق والاقتصاد والثقافة .

ولشدة وضوح ذلك ومنافاته للبدهيات والضروريات ؛ رفضته الشعوب التي ابتليت به منذ موافقة حكوماتها عليه ، وهي الآن أشد رفضا له ؛ فما جدوى أن تبتدئ الشعوب الأخرى حيث بدأت ، ومن هنا لم يبق للأمة من مخرج – واقعا – إلا المخرج شرعا وهو الجهاد ودعم صمود شعبنا المسلم واستمرار انتفاضته ، وإذا كانت هناك مجتمعات تعبر عن شعورها بالتظاهر الصاخب ؛ فإن مجتمعات أخرى يجب أن تعبر عنه بالبذل السخي والإنفاق المستمر .

- **جواز الهدنة مع العدو لتحقيق المصلحة الشرعية** : إن ما قررناه آنفا لا يعني إغلاق أبواب السياسة الشرعية والدبلوماسية الحكيمة لتحقيق مصلحة الأمة ومساندة الجهاد ، أو التهيئة له ، والتربص بالعدو ...

ومن هنا أجازت الشريعة المطهرة مهادنة العدو ومناورته على سبيل السياسة الشرعية ولتحقيق المصلحة الشرعية ، ومنها : إظهار تعنته وإحراج موقفه وكشف حقيقته ، ولكن دون أن يترتب على ذلك موالاته وترك عداوته ، أو الإقرار له بشيء من الحقوق الثابتة التي لا يملك المسلمون – ولو أجمعوا – التنازل عنها ؛ لأن الله هو الذي أنزلها وفرضها كما أنزل وفرض معاداة الكافرين ومجاهدة المعتدين ، ومن ذلك : كون أرض فلسطين كلها وقفا إسلاميا لا يملك غير المسلمون منه شيئا إلا بعقد ذمة ، وكون أملاك اللاجئين حقا شرعيا متوارثا لأبنائهم إلى يوم القيامة لا يجوز لغيرهم – كائنا من كان – أن يتصرف فيه بشيء ، ولا يحق له أن يتنازل عنه .

- **الخاتمة :** بكل عزم ورجاء في الاستجابة نهيب بإخواننا المسلمين أن يسارعوا لنجدة شعبنا الصابر في الأرض المقدسة ، ونذكر من جاهدوا بأموالهم عند بداية الانتفاضة المباركة (وهي اليوم الطوفان المبارك) أن الحاجة الآن أشد والحال أشق ، ونذكر من لم يفعل ذلك أن يستدرك ويسابق في هذه التجارة الرابحة ، وسوف يعوضكم الله – بإذنه – عما تنفقون راحة في الضمير وبركة في

الرزق ونورا في القلب ، وما عند الله خير وأبقى : ﴿...وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ سورة المزمل

وأن مما يعين المسلم على الالتزام ويضاعف له الأجر – بإذن الله – أن يخصص نسبة ثابتة من الراتب – أو غيره – يقدمها شهريا ويحث أقرباءه وأصدقاءه على ذلك .

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم الذي له الخلق والأمر وبيده الملك وإليه ترجع الأمر كله أن ينصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، وأن يقر أعيننا بعزة دينه وعلو كلمته وخذلان أعدائه من أهل الكتاب والمنافقين والمفسدين في الأرض ، إنه على كل شيء قدير . " (من كتاب : رسائل الشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي – الصادر عن المركز العربي للدراسات الإنسانية عام ٢٠١٦م) .

- أنصح الجميع بقراءته فهو كتاب يحتاجه الكثيرون اليوم -

*تنبيهات :

- الأحاديث من صحيح البخاري فقط وتحديدا من كتاب الجهاد والسير .
- تفسير الآيات الموضوع بين علامتي تنصيص " " من أيسر التفاسير للجزائري.
- لم يقصد التجريح أو التشكيك بأحد وكلامنا بشكل عام والكلام لا ينطبق على الجميع وكل يعرف ما في نفسه وإلى أي حد تنطبق عليه تلك الكلمات .
- قصة أبو طلحة – رضي الله عنه - و قصة تجارة مكة مقتبسة من كتاب (بهم فاقتدوا) للدكتور إياد القنيبي.
- قصة صفية – رضي الله عنها – مقتبسة من كتاب (همسة في أذن فتاة) للدكتور حسان شمسي باشا .
- لم يقصد في هذا الكتاب تقويل الصحابة كلاما لم يقولوه بل هي محاولة لتقريب المفاهيم لا أكثر ولا أقل وبالنسبة للصحابة المذكورة أسمائهم فلم أدقق أنهم بالفعل عاشوا في نفس الوقت أو التقوا أم لا فالمهم المحتوى لا هذه التفاصيل .
- المحاولة الشعرية في نهاية القصة من تأليف الكاتبة .
- لمن لديه إمكانية إنشاد تلك الكلمات أو إرسالها لأحد يستطيع ذلك فليفعل دون إجراء تعديلات ودون الرجوع للكاتبة مع تنويه لاسم الكتاب فقط .
- يمنع التعديل على أي شيء في الكتاب لأي سبب و بأية وسيلة .
- أرجو من كل من يستطيع إيصاله لكل من يحتاجه سواء في غزة أو غيرها بأن يساهم في نشره وليعتبر ذلك جهادا بالكلام ولنجاهد بآيات الله أعدائنا جهادا كبيرا ولنتذكر أنا نخوض جهادا كلاميا لا يقل أهمية عن غيره وكما قال ﷺ لحسان بن ثابت : «اهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»
- القصة ليست حقيقية وأي تشابه في الأسماء هو محض صدفة .(الهام وصالح)
- هذا الكتاب (القصة) مناسبة لجميع الأعمار ويمكن قراءتها للأطفال لتنمية الروح الإيمانية لديهم . شاركها مع غيرك فلا تدري قد تشد أزر أحدهم وتثبت آخر وتشرح صدر ..وتطمئن قلب ... وتحيي ضميرا ....

- " إنها معركة فاصلة والله وملائكته ينظرون إلى ما نقدم خدمة لدينه ولنصرة أهل غزة وفلسطين ... لذا فقدم ما بوسعك وما لا تستحي من أن ينظر الله وملائكته إليه ... لا تتخاذل ..لا تركن للدنيا .. هب للنصرة والدعم والتثبيت ... هنا العزة وهنا الفداء وهذا الوفاء لدماء الشهداء .... ابحث جيدا في نفسك و

حولك ستجد كثيرا مما تستطيع تقديمه لهؤلاء العظماء ... يا أخوتنا .. يا شعوب الأمة العربية والإسلامية... أنتم سندنا .. أنتم ظهيرنا .. أنتم من نأمل الخير منه ... أرجوكم واصلوا دعمكم ونصرتكم بكل ما تملكون من وسائل .. أنتم السند والظهير بعد الله ... فلا تتركونا لوحدنا في مواجهة العالم الكافر الظالم ..... لا نقول هذا من باب الضعف بل من باب الحث على ما أمرنا الله به ... وأن يرانا ربنا موحدين صفا كالبنيان المرصوص خير من أن يرانا متفرقين متنافرين ... لا تبحثوا عما يفرقنا بل ابحثوا عن مواطن الوحدة وارابطوا فيها ليس الآن وقت الخلافات والاختلافات ولا الجدال في أمور لا تقدم ولا تؤخر ... واعلموا أنه في مثل هذه الأيام يميز الله الخبيث من الطيب ويعرف المؤمن من غيره ..نحن منصورون ولن يضرنا من خالفنا أو خذلنا إلا ما أصابنا من لأواء .. كونوا حيث يريد الله والمؤمنون ولا تستكينوا أو تهدؤوا حتى نستكين ونهدأ ونحرر الأقصى والأسرى .... كشعب فلسطيني نحن لا ننتظر خيرا من (حكام العرب) نحن ننتظركم وننتظر منكم الكثير فلا تخيبوا ظننا بكم ولتبقوا أوفياء كما عهدناكم .. أنتم من تملكون القرار .. أنتم الحكام ... فاكسروا الحصار وفكوا القيود .. وأدخلوا المساعدات بكل أنواعها ... هذا دوركم الحقيقي ... الوقت يمضي والوضع على حاله ... أرجوكم تحركوا وأعيدوا زمن العزة والوحدة والقوة ... انتبهوا لما يحاك للأمة من محاولات لتشتيت انتباهها عما يحصل في فلسطين بالأزمات الاقتصادية وغيرها .. أبقوا أنظاركم على غزة وفلسطين وانصروا تنصروا بإذن الله ... تخيلوا رسول الله ﷺ ينظر لأمته الآن ..كيف سيكون حاله ؟! راجعوا سير الجهاد والصحابة في أعز زمان وخذوا الدروس والعبر ... غزة حصن الأمة الحصين فلا تقفوا متفرجين تنتظروا نتيجة المعركة فهي ولله الحمد محتومة بالنصر لنا ولكن العاقل من لا يرضى إلا أن يكون جنديا في جيش النصرة سواء على أرض المعركة أو في ميادين الاعتصام أو على مواقع التواصل الاجتماعي ... فكل هذه ميادين نصرة وكل من فيها جندي للحق ... لن يقوم أحد بدورك ... والنصرة والجهاد بكل أنواعه فرض عين وليس فرض كفاية .... وستسأل عما قدمت وبذلت فجهز الجواب لسؤال يوم الحساب واحرص أن يكون مقنعا لرب العباد العليم بالأحوال وما في النفوس فاحذروا يا أولي الألباب ... أملنا بكم كبير ..... فهبوا للتغيير ... وأيقظوا الضمير ... واجبروا الكسير ... "

مع تحيات : ابنة فلسطين (أ . م . س . ك)

إلى اللقاء في باحات الأقصى ...قريبا بإذن الله...نخط قصص النصر والصمود والثبات ...

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة الروم

تم بحمد الله

٢٠٢٣/١٢/٣١م / ١٩/جمادى الثانية ١٤٤٥هـ

والبداية كانت ٢٠٢٣/١٢/٢٣م

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥﴾